الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

AMULET

عربي 21
مستوى ع
سادس ابتدائي

مذكرات طالب

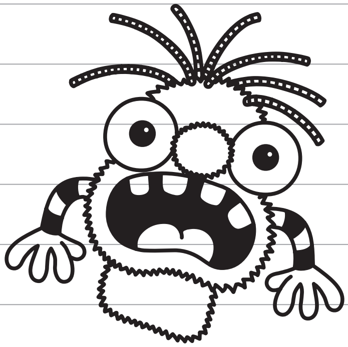
الحرب الباردة



تُرجمت هذه السلسلة إلى 56 لغة عالمية

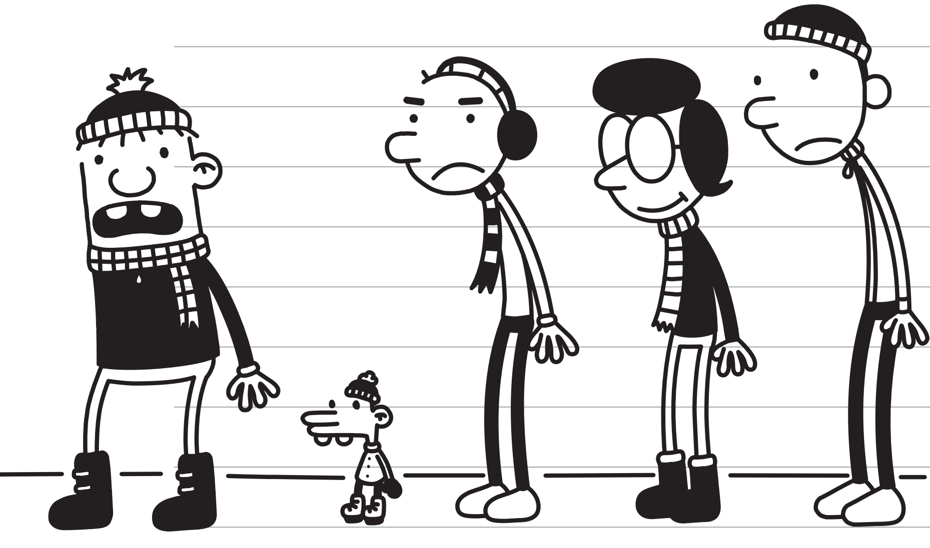
وبيع منها 200 مليون نسخة حول العالم

جيف كيني



سلسلة مذكرات طالب

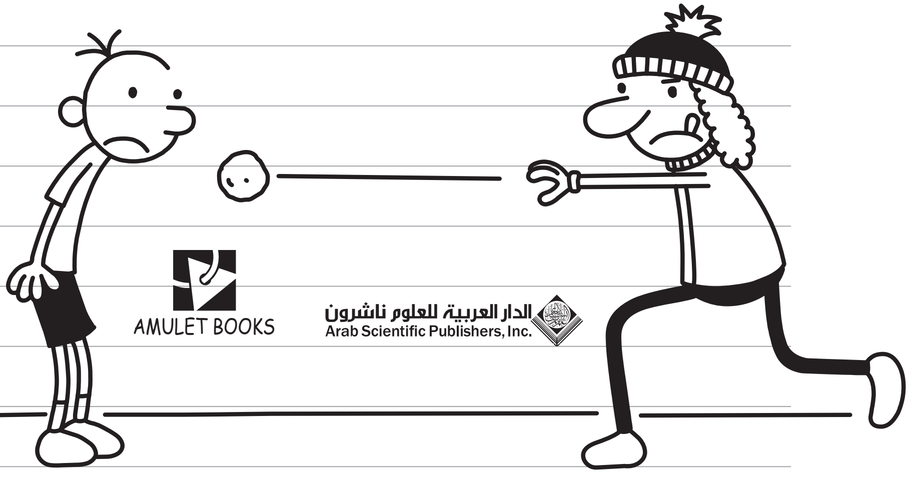
1. مذكرات طالب.
2. قوانين الأخ الأكبر.
3. القشّة الأخيرة.
4. أيّام الكلاب.
5. الحقيقة المُرّة.
6. جنون المنزل.
7. العجلة الثالثة.
8. الحظّ العاثر.
9. الرحلة الشاقة.
10. أيّام زمان.
11. الخطة الفاشلة.
12. بقلمك أنت.
13. رحلة الأحلام.
14. الحرب الباردة.



مذكرات طالب

الحرب الباردة

بقلم جيف كيني



AMULET BOOKS

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
DIARY OF A WIMPY KID: THE MELTDOWN
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Wimpy Kid, Inc.
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

First published in the English language in 2018
By Amulet Books, an imprint of Harry N. Abrams, Inc., New York
Original English title: Diary of a Wimpy The Meltdown

الطبعة الأولى
1440 هـ - 2018 م

ردمك 978-614-01-2647-3

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

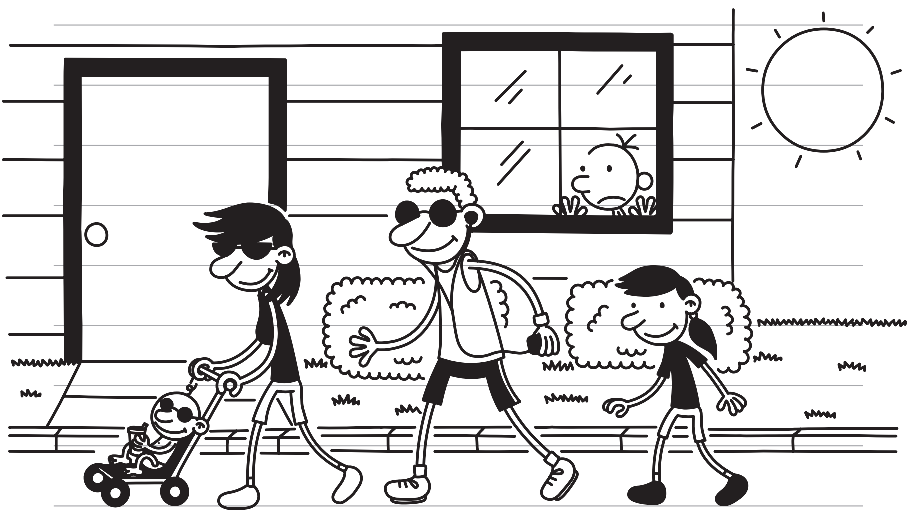
التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

إلى ديب

يناير

الاثنين

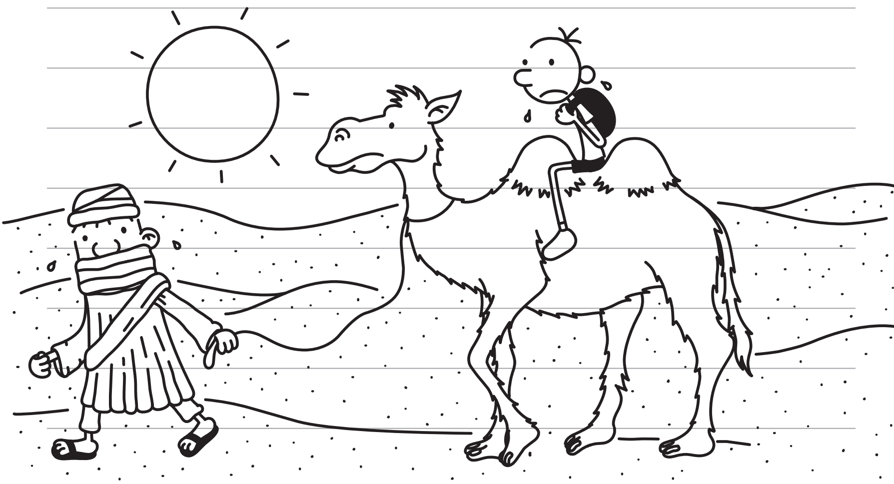
خرج اليوم جميع أهل الحيّ الذي أقيم فيه للاستمتاع بالطقس الدافئ وبأشعّة الشمس، الجميع باستثنائي أنا. ذلك أنّه من الصعب عليّ الاستمتاع بموجة حرّ في وسط الشتاء.



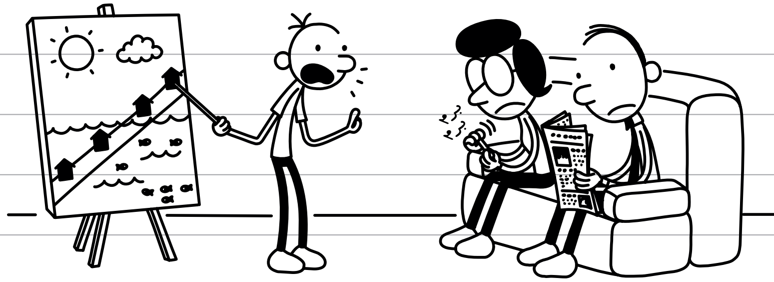
يقول الناس إنّ الطقس غريب، لكن لا يبدو لي ذلك صحيحاً. قد أكون شخصاً قديم الطراز، لكن برأيي، يجب أن يكون الطقس بارداً في الشتاء وحارّاً في الصيف.

سمعتُ أنّ حرارة الكوكب بأكمله ترتفع، وأنّ البشر هم السبب. لكن لا تلوموني، فقد وصلتُ للتوّ.

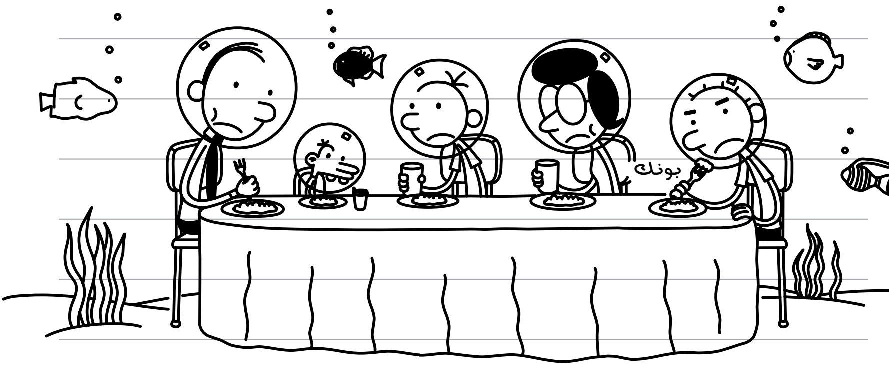
إن كانت حرارة الأرض ترتفع بالفعل، فإنّني أتمنّى ألّا يحدث ذلك بسرعة كبيرة. في الواقع، إن استمرّت الأمور على هذا المنوال، سأضطرّ لركوب الجمل للذهاب إلى الثانوية.



يقولون إنّ الثلوج التي تغطّي قمم الجبال بدأت تذوب، ومستوى البحار يرتفع، لذلك كنت أحاول إقناع أمّي وأبي بشراء منزل في بقعة أكثر ارتفاعاً على تلّتنا. لكن لم يبدُ عليهما الاكتراث.



شعرت بالتوتّر لأنّني الوحيد في الأسرة المهتمّ بهذه الأمور. وبدأت أخشى أن نندم إن لم نفعل شيئاً حيال هذه المسألة قريباً.



ما يقلقني ارتفاع مستوى البحار. فالقمم الثلجية موجودة منذ ملايين السنين، وقد يكون تحتها أشياء يُستحسن أن تبقى مدفونة.



شاهدتُ فيلماً عن إنسان كهف تجمّد في الجليد. وعندما ذاب الجليد بعد ألف عام، كان لا يزال حياً. لا أدري ما الذي قد يحدث في الحياة الواقعية، لكن إن كان ثمّة رجال كهف ذاب عنهم الجليد ويتجوّلون بيننا اليوم، فقد يكون الحارس الليلي في مدرستي واحداً منهم.



إن تمكنّا من إيجاد حلّ لأزمة المناخ هذه، فعلى الأرجح سيكون أحد أبناء جيلي هو الذي سيعثر عليه. لهذا السبب، أتعامل دائماً بلطف مع الأولاد الأذكياء لأنّهم هم من سينقذوننا من هذه الورطة.



أيّاً يكن الجواب، أنا أضمن لكم أنّ التكنولوجيا هي مفتاح الحلّ.

يردّد الكبار دائماً أنّ المبالغة في استعمال التكنولوجيا سيّئة للأولاد، لكن برأيي كلّما استخدمناها أكثر كان ذلك أفضل.

في الواقع، ما إن أصبح قادراً على شراء أحد تلك المراحيض عالية التقنية التي تتعلّم كلّ عاداتك، سأشتري أغلاها ثمناً.



يخشى بعض الناس أن نفقد سيطرتنا يوماً ما على التكنولوجيا التي اخترعناها، وأن يسيطر علينا الإنسان الآلي.

حسناً، إن حدث ذلك، سأحرص على أن أكون إلى جانبه.

في الواقع، كنت أستعدّ لليوم الذي ستسيطر فيه علينا التكنولوجيا عبر التملّق للأدوات الكهربائية في منزلنا.

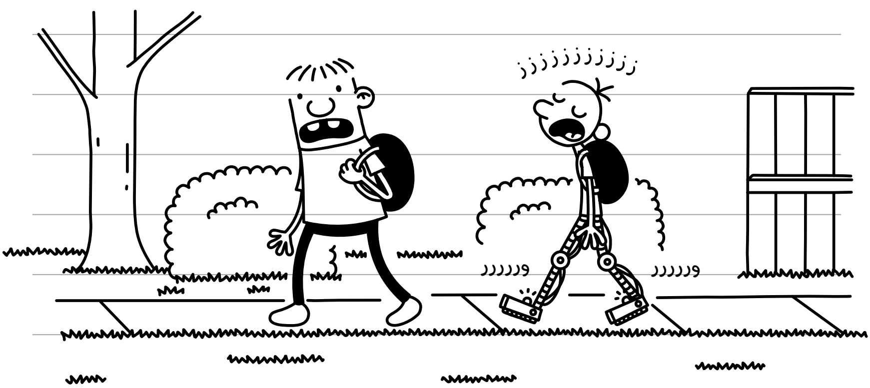


هكذا، عندما تقع حرب هائلة بين الإنسان الآلي والبشر في المستقبل، سأهنّئ نفسي لأنّني استبقت الأمور.



يقول أخي رودريك إنّ الناس في المستقبل سيكون لديهم أجزاء آلية في أجسادهم، وسنكون جميعنا من السايبورغ، وهم مزيج بين الآلة والبشر.

في الحقيقة، أتمنّى ألّا يتأخّر ذلك كثيراً، لأنّني، إن تمكّنت من التزوّد بساقين آليتين، فقد أكسب نصف ساعة إضافيّة من النوم كلّ صباح.



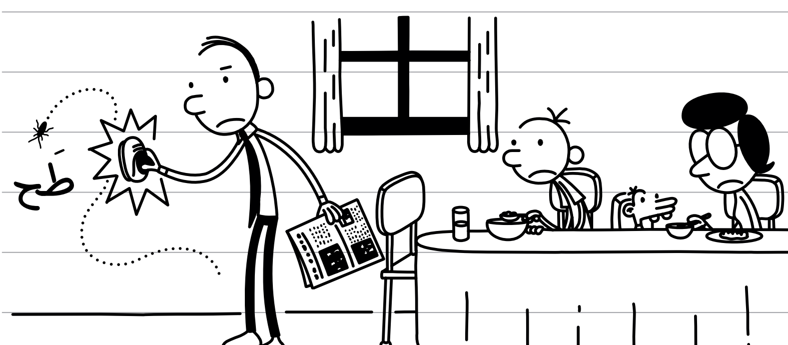
لا أعتقد أنني أعلم ما قد يحدث فعلاً في المستقبل، وأظن أنني سأصاب بالجنون إن أطلت التفكير في الأمر.

فحتّى لو تمكّنا من حلّ جميع مشاكلنا اليوم، ستطرأ مشاكل جديدة، وسيتحتّم علينا مواجهتها.

فقد قرأت أنّ هذا ما حصل مع الديناصورات. ظلّت لمائتي مليون عام تسرح وتمرح على الأرض، إلى أن أتى كويكب وقضى عليها تماماً.

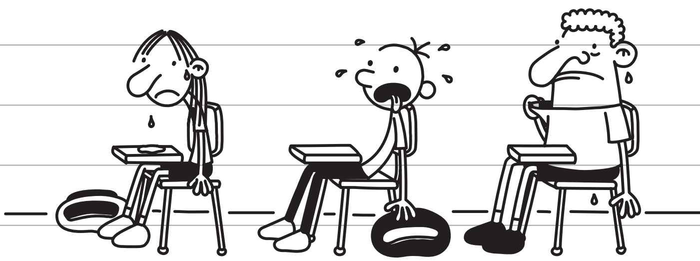


والغريب أنّ الصراصير كانت موجودة حينذاك، ونجت بأعجوبة. وعلى الأرجح، ستستمرّ من بعدنا طويلاً أيضاً. أنا أجد الصراصير مثيرة للاشمئزاز، لكن لا شكّ أنّها تجيد فنّ البقاء.



بالحديث عن البقاء، أنـا أحـاول اجتياز المرحلة المتوسّطة حيّاً. والأيّام الأخيرة لم تكن عظيمة على الإطلاق.

على الرغم من الحرّ، مازال نظام التدفئة في المدرسة يعتقد أنّنا في الشتاء. فراح يعمل بكامل طاقته طوال النهار، الأمر الذي منعني تماماً من التركيز.



وكان الوضع أسوأ في الكافتيريا، لعدم وجود نوافذ للتهوئة يمكن فتحها.



كانت الحرارة تشوي دماغي حتّى بتّ أنسى مواعيد تسليم فروضي. واليوم، نسيت فرضاً مهمًّا حقّاً هو عبارة عن مشروع تعريف عن بلد معيّن للمشاركة في المعرض الدولي.

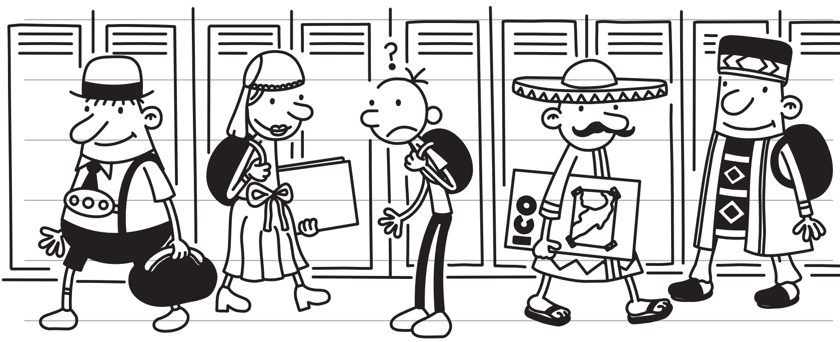
في شهر نوفمبر، طُلب من كلّ منّا اختيار بلد وإعداد تقرير عنه. فاخترت إيطاليا لأنّني أعشق البيتزا.

لكن تبيّن أنّ إيطاليا كانت خيار الكثيرين، الأمر الذي اضطرّ معلّمة الإجتماعيات إلى إجراء قرعة لتحديد طالب من بيننا. فاخترت دنيس تراكتون، ولم يكن هذا عادلاً لأنّه يعاني من حساسية على اللاكتوز ولا يستطيع تناول الجبن.

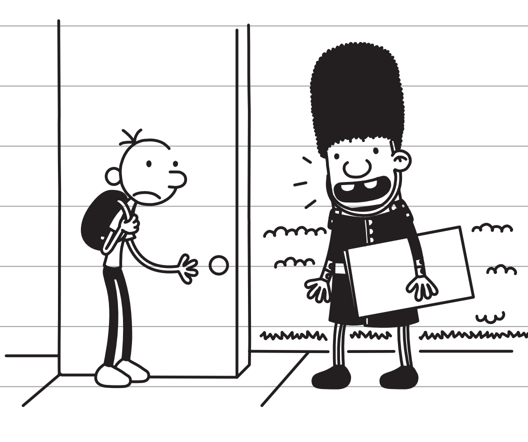


واختارت لي المعلّمة مالطا، التي لم أكن أعرف حتّى أنّها بلد.

في أيّ حال، كان ذلك في نوفمبر، ولم يخطر المشروع ببالي مرّة أخرى حتّى يوم أمس. ولم أتذكّره إلّا عند وصولي إلى المدرسة، فقد وجدت الجميع يرتدون ملابس غريبة.



ربما كان يجدر بي أن أدرك أنّه يوم المعرض الدولي عندما مرّ صديقي راولي لمرافقتي إلى المدرسة في الصباح. لكنّه متعوّد على التصرّفات الغريبة، لذلك لم أكترث.



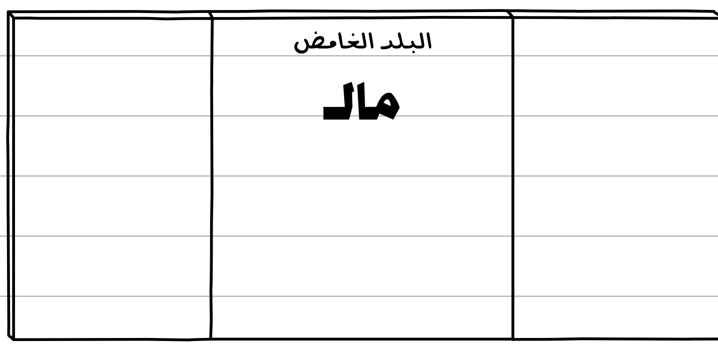
في الصفّ، ألقيت نظرة على مشروع راولي لأرى حجم العمل الذي ينطوي عليه، فأصابني الذعر.

بدا كأنّ تقريره استغرق وقتاً طويلاً، وكان واضحاً أنّ والديه ساعداه. وبالطبع، كان راولي قد زار البلد الذي اختاره، لذلك أنا واثق أنّ هذا ما سهّل الأمر عليه كثيراً.



طلبت من راولي أن يكون مرناً ويقبل بتبديل البلد معي، لكنّه تصرّف بأنانية ولم يوافق. هذا يعني أنّ الأمر وقع على عاتقي، ولا أملك سوى بضع ساعات لإنجاز مشروعي بأكمله من الصفر. ولم أعرف أين سأعثر على قطعة كرتون بثلاث طيّات في هذه المرحلة المتقدّمة من اللعبة.

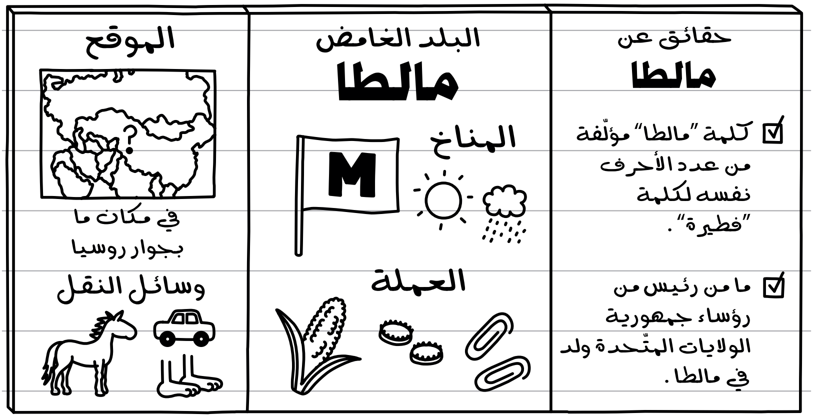
حينئذ تذكّرت أنّني أملك واحدة في خزانتي. كنت قد بدأت مشروعي في اليوم التالي الذي كلّفتنا به المعلّمة لكي أستغلّ الوقت مرّة في حياتي. لكن عندما أخرجته من الخزانة لأرى كم أنجزت منه، أصبت بخيبة كبيرة.



يشكّل هذا المشروع 50% من علامة الإجتماعيات، لذلك شعرت بإحباط كبير. حاولت الحصول على المساعدة من زملائي، لكنّ ذلك لم ينفع سوى بتذكيري أنّني أحتاج إلى بعض الأصدقاء الأذكياء.



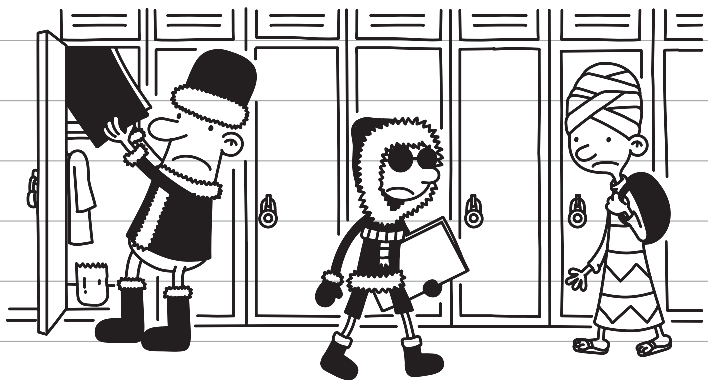
مكثت في الصفّ خلال الفرصة للعمل على مشروعي. لم أكن أملك وقتاً طويلاً لإجراء بحث في المكتبة، لذلك اعتمدت كثيراً على التخمين. الشيء الوحيد الذي كنت واثقاً منه بالفعل أنّ مالطا تقع على مقربة من روسيا، لكنّني كنت مرتاباً بصحّة كلّ شيء آخر.



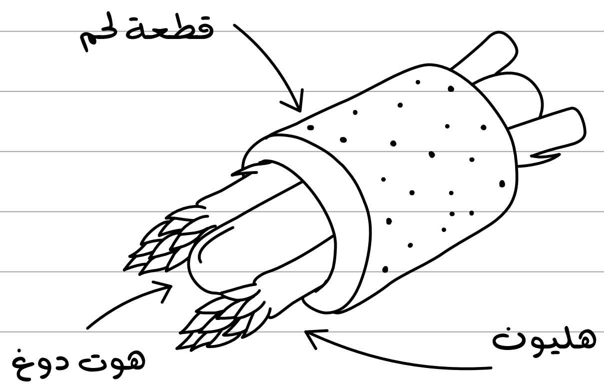
عندما انتهيت من ملء الصفحة، بدأت بالعمل على الأمور الأخرى.

كان يفترض بنا ارتداء الزيّ التقليدي للبلد الذي اخترناه من أجل المعرض العالمي، لذا في طريقي إلى الغداء، اخترت بعض الملابس من غرفة الأشياء الضائعة أمام مكتب المدير.

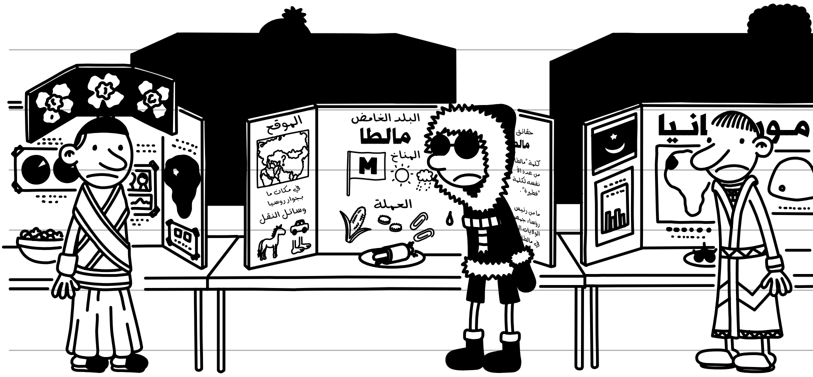
لحسن الحظّ، عثرت على بعض الملابس المناسبة في الصندوق، وصمّمت منها زيّاً بدا مقنعاً.



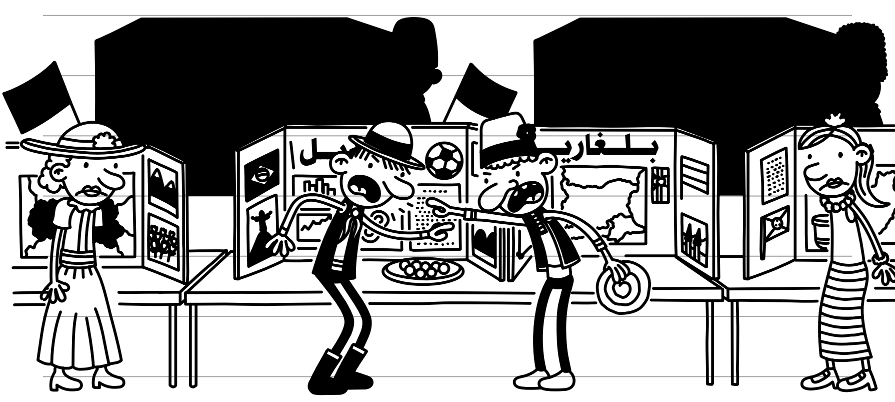
كان ينبغي أيضاً على كلّ منّا إحضار وجبة تقليدية. فقمت بشراء أكبر عدد ممكن من الأطعمة في فرصة الغداء وجمعتها معاً بحيث بدت كما لو أنّها آتية من بلد آخر.



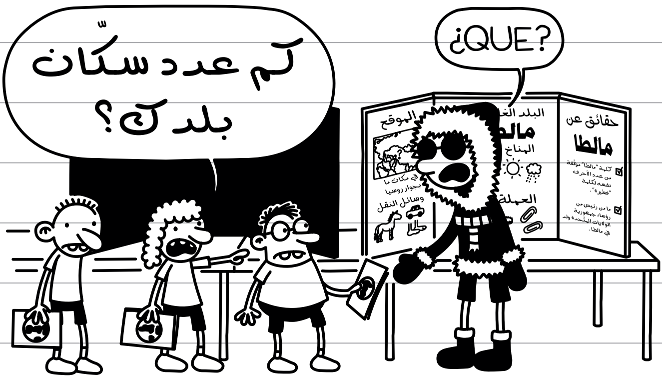
كان المعرض الدولي سيقام خلال الحصّة الأخيرة، وعندما جهّزت مشروعي في القاعة الرياضية، كنت أشعر بالثقة حيال ما فعلت. لكنّني تمنّيت لو تمّ تكليفي ببلد يرتدون فيه ملابس أقلّ لأنّ نظام التدفئة لا يزال يعمل بكامل طاقته.



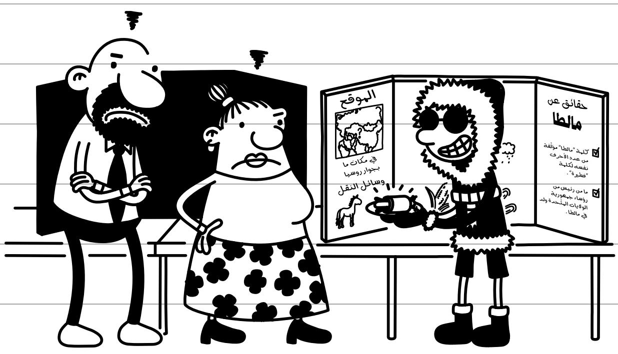
بدأت الحرارة تُزعج بقيّة التلاميذ أيضاً، وبدأ أمزاجهم يتعكّر. فنشب شجار بين البرازيل وبلغاريا حول المساحة، واضطرّت المعلّمة إلى التدخّل.



أحضروا أولاداً من المرحلة الابتدائية لمشاهدة مشاريعنا وطرح الأسئلة. ولكي أبعدهم عنّي، تظاهرت أنّني لا أتكلّم سوى المالطية.



بعد ذلك، بدأ الأهل يتوافدون. ولحسن الحظّ، لم يستطع والداي المجيء، لأنّ أبي كان في العمل وأمّي في الجامعة. غير أنّ والدَي أحد الأولاد في صفّي كانا بالفعل من مالطا، وهذا من سوء حظّي.



ظننت أنّهما سيشكيانني إلى المعلمة، وأعددت العدّة للهرب، لكن الأحداث التي تلت ذلك أنقذتني من تلك الورطة.

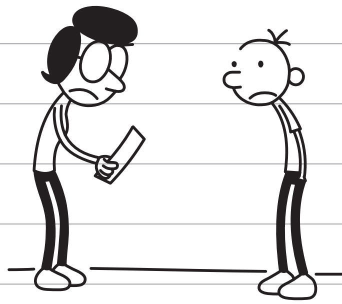
فقد تصاعد الشجار الذي وقع بين البرازيل وبلغاريا، واحتدم ليمتدّ إلى البلدان التي تبدأ بالحرفين التاليَين. وما لبثت الفوضى أن عمّت الصالة بأكملها.



لحسن الحظّ، رنّ الجرس وانصرف التلامذة قبل أن يلحق بأحد أذى كبير. إلاّ أنّ الوضع كلّه لم يُبشّر بالخير بالنسبة إلى السلام العالمي.

الثلاثاء

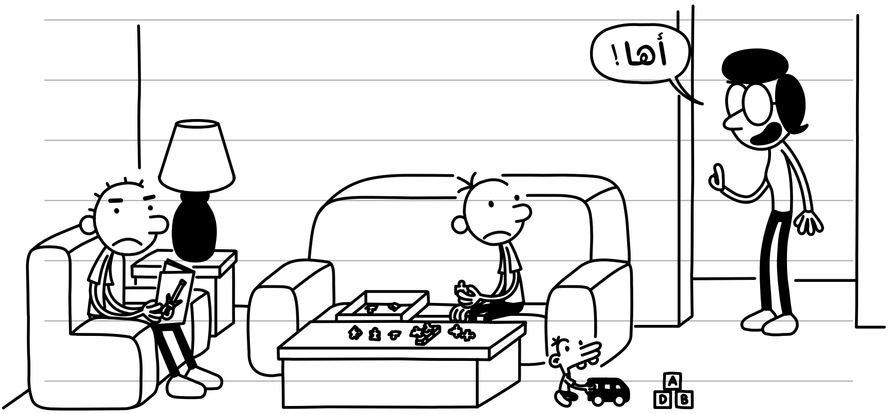
ظننت أنّني نفدتُ بجلدي، لكنّني كنت مخطئاً. إذ أرسلت معلمة الاجتماعيات ملاحظة لوالديّ طلبت فيها أن أعدّ مشروع المعرض الدولي مجدّداً.



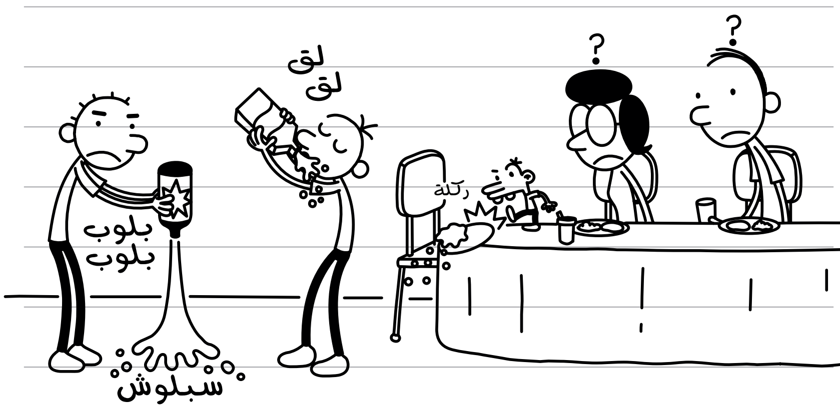
منعتني أمّي من مشاهدة التلفاز أو ممارسة ألعاب الفيديو حتّى أنتهي. ومع أنّني توقّعت إنجاز هذا الواجب على الأرجح بحلول يوم السبت، لكن ذلك لم يعد مهمّاً، لأنّ أمّي لا تسمح لنا أنا وأخويّ أساساً باستعمال الشاشات في عطل نهاية الأسبوع.

تعتقد أمّي أنّنا نحن الصبية مدمنون على الإلكترونيات وأنّها السبب في سوء سلوكنا. لذلك بدأَت باتّباع هذه السياسة الجديدة التي تحظر علينا استعمال الإلكترونيات يومَي السبت والأحد، وتجبرنا على إيجاد وسائل تسلية أخرى.

والمزعج في الأمر أنّه عندما تجد أمّي أنّنا نحسن السلوك في عطل نهاية الأسبوع، تعتبر ذلك دليلاً على نجاح سياستها.

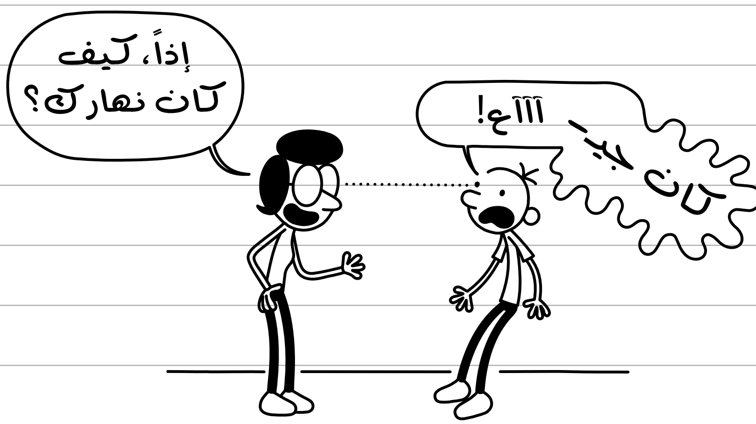


لذلك، أصبحت ورودريك نتعمد إساءة السلوك يومي السبت والأحد لكي لا تعتقد أمّي أنّ سياستها ناجحة. وقد انضمّ إلينا ماني أيضاً، لأنّه يحبّ تقليد شقيقيه في كلّ شيء على ما أظنّ.



تقول أمّي إنّ أولاد اليوم لا يجيدون التفاعل بعضهم مع بعض لأنّهم يطيلون التحديق إلى شاشاتهم. لذلك، راحت تعمل على «مهاراتنا الاجتماعية» أنا ورودريك.

من الأشياء التي تحاول أمّي دائماً حملي على فعلها هي النظر إلى عينيها وأنا أتحدّث معها. فأقوم بذلك لبعض الوقت، لكن بعد عدّة ثوانٍ يصبح الأمر شديد الغرابة.



وأحدث ما تحاول أمّي حملي على فعله هو مصافحة أبي. لكنّ هذا الأمر بدا مربكاً بالنسبة إلينا معاً.



تريد أمّي أن «أوسّع نشاطاتي» وأقيم مزيداً من الصداقات في حيّنا. لكن لديّ راولي أساساً، وطاقتي لا تستوعب المزيد من الأصدقاء حاليّاً.



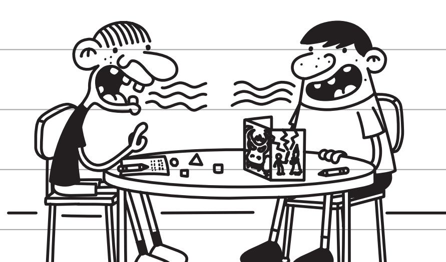
على الرغم من وجود مئات الأولاد في حيّنا، إلّا أنّني لا أتخيّل نفسي صديقاً لأحد منهم. فأنا أشعر أساساً أنّني قمت باستثناء مع راولي، والخيارات تنحدر نزولاً من بعده.

يقع منزلنا في منتصف شارع سوراي، ومنزل راولي في أعلاه. وفي بعض الأحيان أنزعج حتّى من فكرة زيارته لأنّني مضطرّ للمرور بمنزل فريغلي. ونادراً ما لا يكون فريغلي أمام منزله.

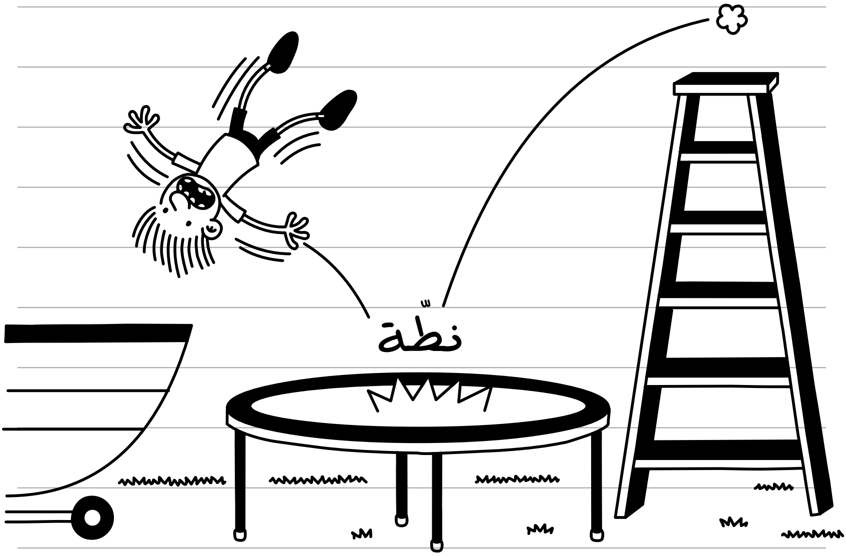


أمام منزل فريغلي يقع منزل جاكوب هوف، لكنّه نادراً ما يخرج لأنّ والديه يجبرانه على التمرّن على عزف المزمار طوال الوقت. وعن يمين منزل جاكوب ويساره، يقطن إرنيستو غوتيريز وغابرييل جونز، والاثنان يدرسان في صفيّ.

صحيح أنّ إرنيستو وغابرييل لطيفان، لكنّ رائحة نفَسَيهما كريهة، لذلك فهما مناسبان أحدهما للآخر.



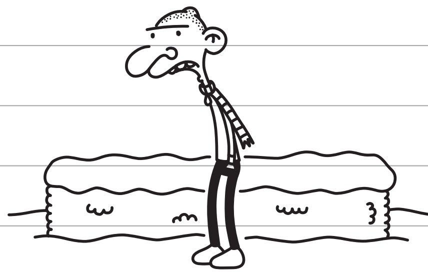
على مسافة بابين من منزلي يقطن ديفيد مارش، الذي يهوى الكاراتيه. وهو صديق حميم لجوزيف أورورك، الذي لا يكفّ عن إيذاء نفسه.



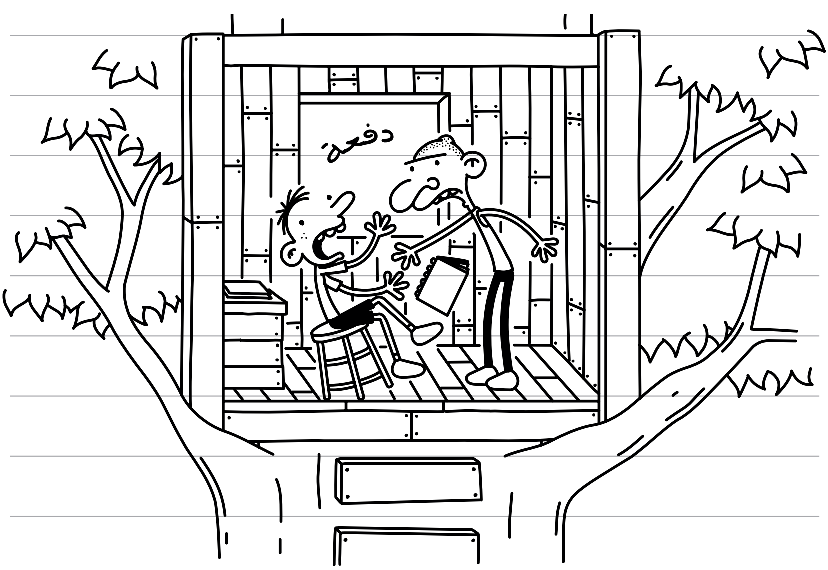
بجوار جوزيف يسكن ميتشيل بيكيت، الذي يشتهر ببيع كرات الثلج المعدّة مسبقاً في الشتاء. تذكروا ما أقوله، يوماً ما سيصبح هذا الولد مليونيراً.



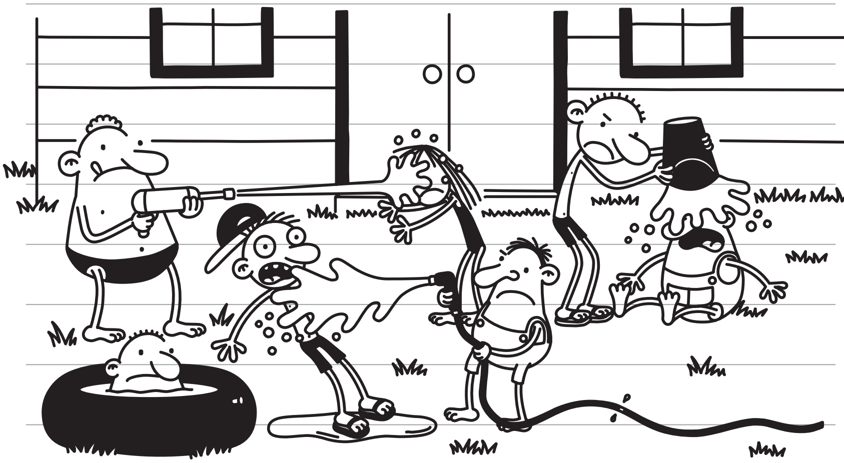
يعيش ميتشيل بجوار ولد أصغر منّي بعام واحد، يسمّيه الجميع عنتر. غير أنّ أهل الشارع يتجنّبونه لأنّ شقيقيه الأكبرين في السجن.



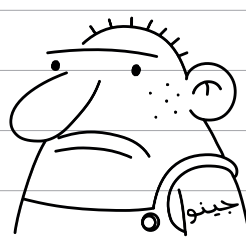
وهناك ولد يُدعى بير فيس جينتري يملك عزالاً في باحة منزله، ويمضي الصيف في حلّ جرائم الحيّ. لكن في معظم الأوقات، يكون عنتر هو الجاني.



هناك مبنى من طابقين يقع على مسافة ثلاثة أرباع الطريق نحو أسفل التلّة، والأسرتان اللتان تعيشان فيه تتبادلان الكراهية.

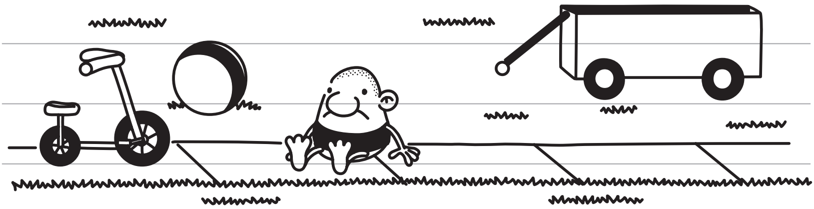


لا أعرف تماماً الأولاد القاطنين هناك، لكنني أذكر أنّ أحدهم يدعى جينو لأنّه يحمل وشماً على ذراعه، مع أنّه لم يتجاوز السابعة.

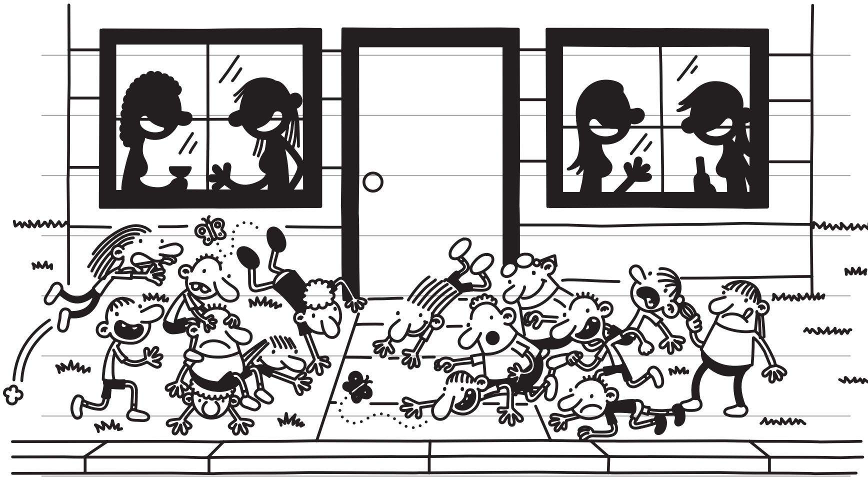


وعلى مسافة بضعة منازل، يعيش صبيّ مع جدّته، ويدعى غيبسون.

يسمّيه الجميع غيبسون الصغير، لأنّه لم يكبر على الرغم من مرور الزمن. كلّ ما أعرفه أنّ غيبسون الصغير في الثانية والثلاثين من عمره ولديه أولاد.



في الحيّ حضانة للأطفال تستقبلهم مرّتين في الأسبوع وذلك في منزل السيّدة جيمينيز. لا أدري من هم أولادها ومن هم أولاد أصدقائها. لكن ما أعرفه أنّ أولئك الصغار خارجون تماماً عن السيطرة، ولا يبدو أنّ أمّهاتهم يكترثن حقّاً.



في حيّنا أيضاً أولاد أكبر سنّاً. أنطوني دينارد في الصف الثانوي الثاني، وقد بدأ يحلق ذقنه للتوّ. غير أنّه فقد السيطرة على آلة الحلاقة في أحد الأيّام وحلق أحد حاجبيه خطأً.

أعاد أنطوني رسم حاجبه بقلم بنّي، لكنّه لم ينجح تماماً، والآن أصبح نصف وجهه يبدو دائماً في حالة تعجّب.



يُدعى صديق أنطوني الحميم شيلدون ريس، الذي حاول كسب المال عن طريق جرف الثلوج من مداخل منازل الجيران عندما تساقطت لأوّل مرّة هذا العام.

غير أنّ شيلدون لا يملك رخصة بعد، وتسبّب بضرر كبير في الحيّ قبل أن يكتشف والده أنّ ابنه يستعمل شاحنته.

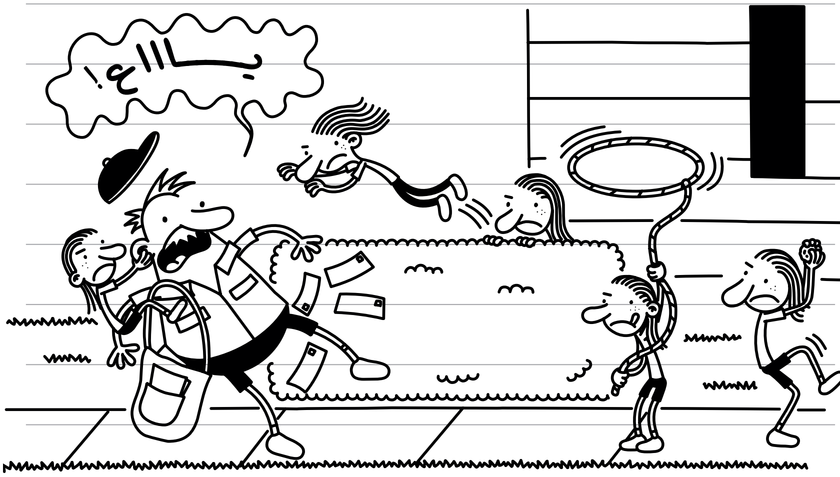


على بعد بضعة منازل منّي يقطن التوأمان جيريمي وجيمسون غارزا، اللذان ابتكرا لغة خاصّة بهما عندما كانا طفلين. وحين يجتمعان، لا يستطيع أحد أن يفقه شيئاً من حديثهما.



وفي شارعنا عدد من الفتيات أيضاً، لكنهنّ لسن أفضل من الفتيات.

تعيش بنات أسرة مارلي الخمس أمام منزل راولي. أعمارهنّ متقاربة، ولا أدري ما خطبهنّ. إنهنّ يهاجمن عشوائياً كلّ من يمرّ بباحة منزلهنّ.



تعيش إميليا غرينوال على مسافة قريبة من منزل أسرة مارلي. وهي ترتدي دائماً ملابس الأميرات لأنها تشاهد كثيراً من أفلام ديزني على ما أظنّ.



تقطن لاتريسيا هوكس في منزل من طابق واحد أمام المبنى المؤلّف من طابقين، وهي تلميذة صغيرة يبلغ طولها 165 سنتم. يخشى رودريك الاقتراب من لاتريسيا لأنّها تعوّدت على إساءة معاملته عندما كان في سنّي.



فيكتوريا، شقيقة لاتريسيا، مغرمة بإرنيستو غوتيريز لسبب ما. وصديقة فيكتوريا الحميمة، إيفلين تريمبل، ترتدي ملابس مصّاص دماء.

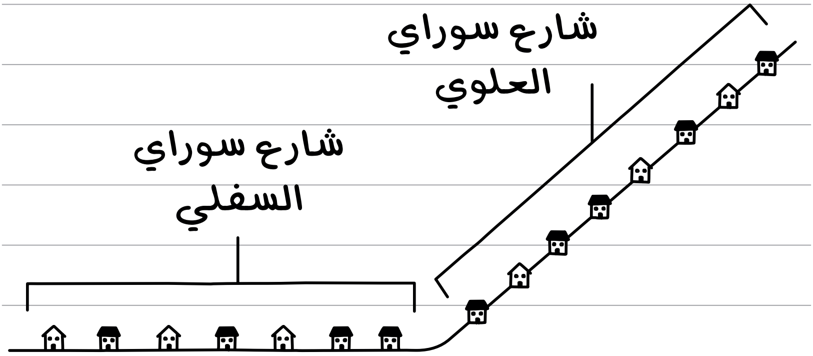
في الحقيقة، أنا واثق أنّ إيفلين تعتقد أنّها مصّاصة دماء، وهذا من الأسباب التي جعلتني أتوقّف عن ركوب الباص.



كلّ هذا ولم أذكر بعد نصف الأولاد الذين يعيشون على تلّتي. لكنّ ذكرهم جميعاً سيستغرق دهراً.

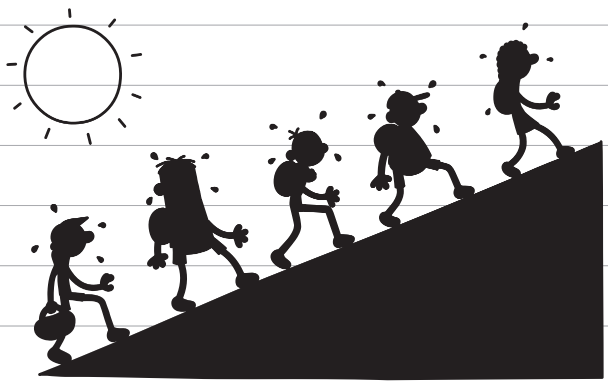
تسألني أمّي دائماً لماذا لا أصادق أيّاً من الأولاد الذين يقطنون في أسفل التلّة، مع أنّني أخبرتها مليون مرّة لمَ لن يحدث ذلك أبداً.

في الواقع، شارع سوراي مقسوم إلى قسمين، شارع سوراي العلوي، وهو التلّة، وشارع سوراي السفلي، وهو الجزء المسطّح في الأسفل.

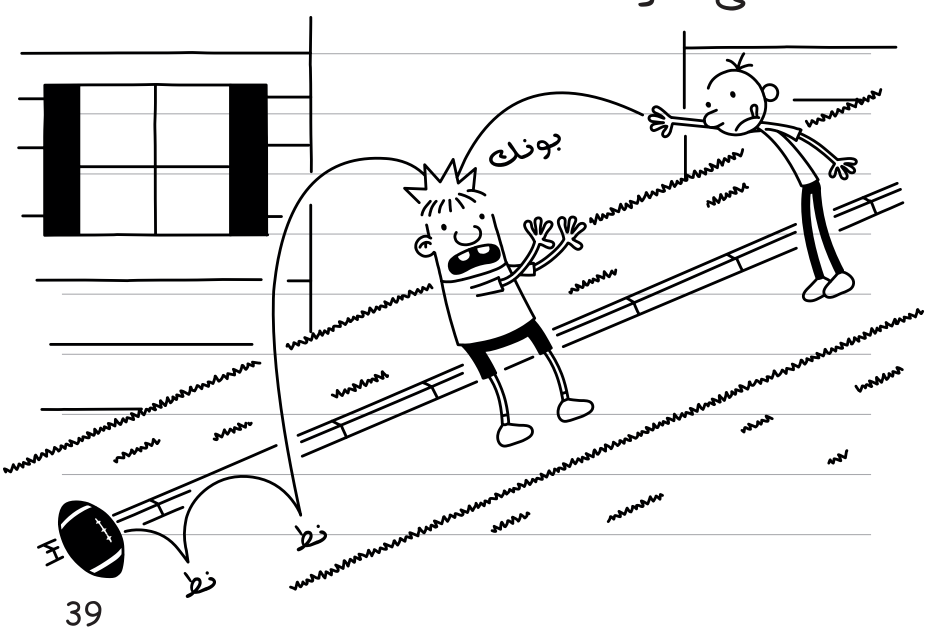


ومع أنّنا نعيش جميعاً في الشارع نفسه، إلّا أنّ أولاد أعلى التلّة وأولاد أسفل التلّة لا يطيقون بعضهم بعضاً.

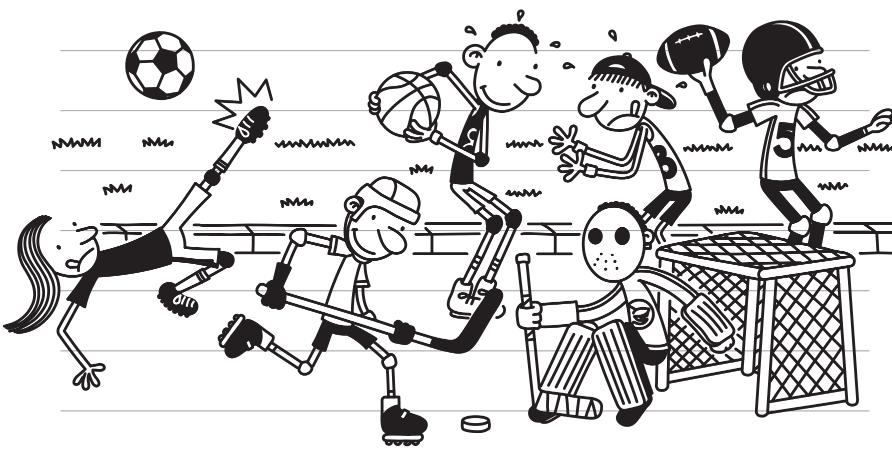
في الحقيقة العيش على التلّة ليس ممتعاً. أوّلاً، المكان بعيد حقّاً عن المدرسة، وتلك المسافة الأخيرة في نهاية اليوم ليست مزحة، لا سيّما عندما يكون الطقس حارّاً كما هي الحال مؤخّراً.



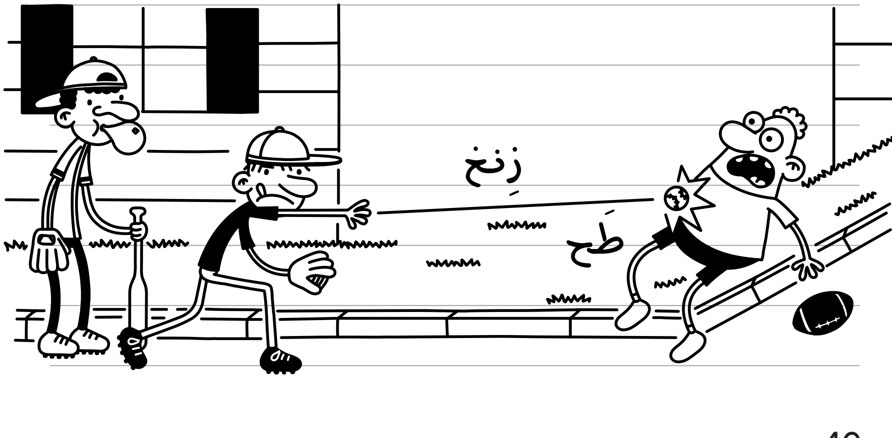
ثانياً، لا يستطيع القاطنون على التلّة فعل كثير من الأمور المسلية. فإذا رغبت في لعب الطابة، عليك أن تنسى الأمر.



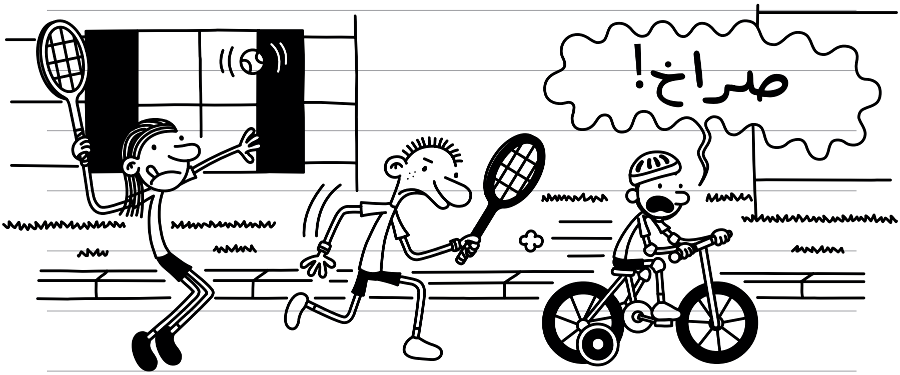
أمّا الأولاد الذين يعيشون في أسفل التلّة، فلديهم كلّ شيء. إذ أنّ ذلك الجزء من الشارع مسطّح، لذلك يستطيعون اللعب هناك على هواهم. ولهذا السبب، ينتمي كلّ الرياضيين إلى شارع سوراي السفلي.



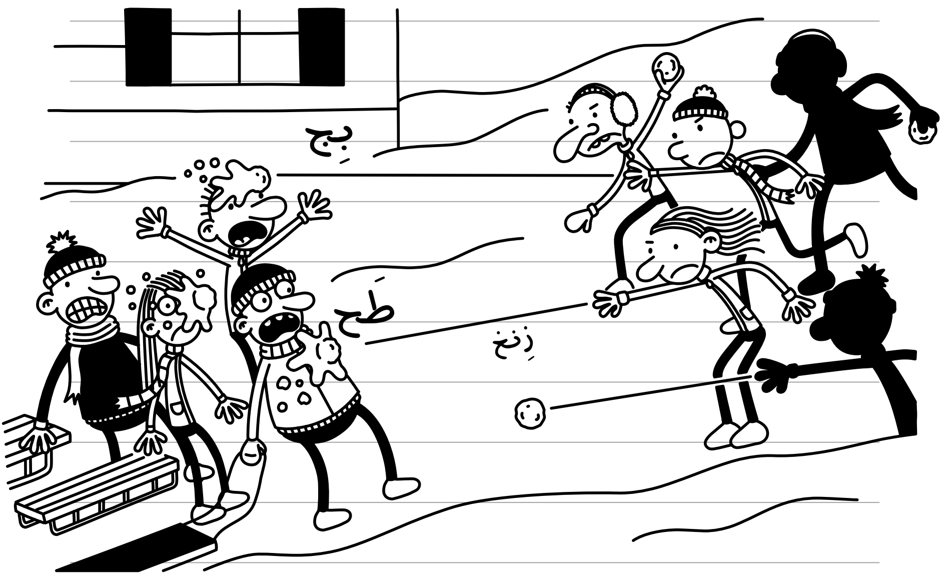
المشكلة أنّ الأولاد القاطنين في الجزء السفلي يعتقدون أنّهم يملكونه. وهم لا يسمحون لأحد من أبناء التلة باللعب في منطقتهم.



في الواقع، لقد أمضيت أربع سنوات لأتعلّم ركوب الدراجة لأنّني لم أكن أستطيع قيادتها لأكثر من خمس ثوانٍ.



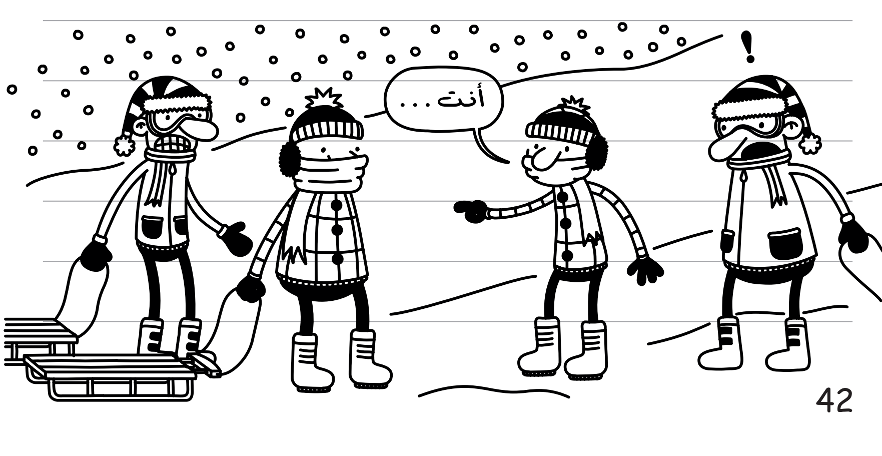
لكن عندما تتساقط الثلوج، تنقلب الأدوار. فجأة، يصبح أولاد شارع سوراي السفلي راغبين في التزلّج على تلّتنا، وعندها نرد لهم الصاع صاعين.



في معظم الأحيان، ننجح في إبعاد أولاد شارع سوراي السفلي عن التلّة. غير أنّهم يتسلّلون أحياناً ويمرّون من أمامنا.



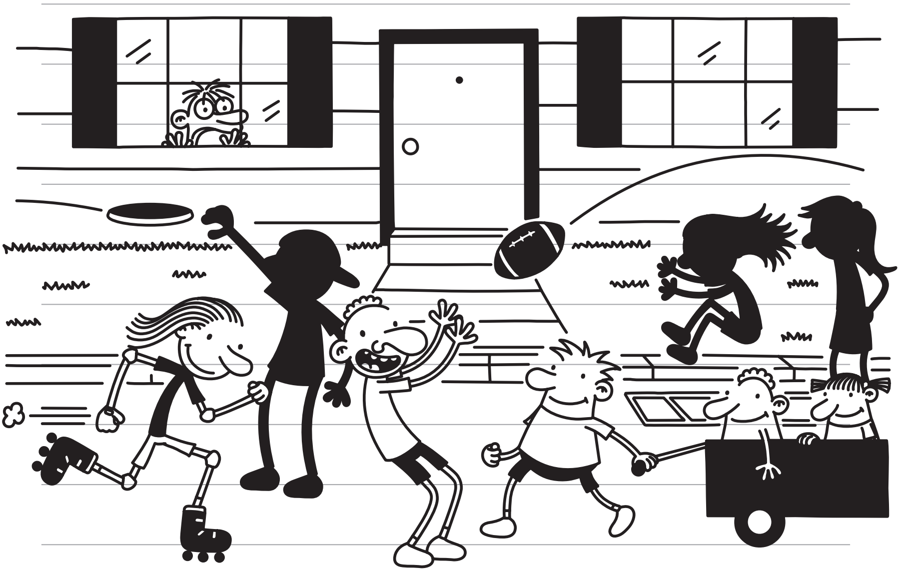
في الشتاء الماضي، قامت مجموعة منهم بشراء معاطف تشبه تماماً معاطف أبناء التلّة، ومضت أسابيع قبل أن نكتشف أمرهم.



إن كنت تعيش في شارع سوراي، إمّا أن تكون من أولاد التلّة أو من أولاد أسفل التلّة، ولا يمكنك تبديل انتمائك.

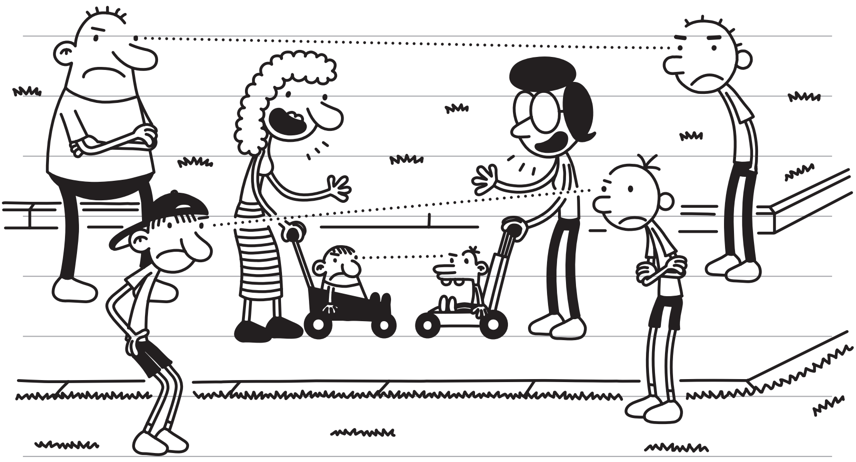
عاش ولد يدعى تريفور نيكس على التلّة حتّى الصيف الماضي، عندما انتقلت أسرته إلى منزل أكبر في أسفل الشارع.

لكنّ الأولاد هناك لا يزالون يعتبرونه تريفور من أهل التلّة، ولا يسمحون له باللعب في الشارع. أمّا نحن أولاد التلّة فاعتبرناه خائناً بسبب انتقاله، ولم نعد نسمح له بالتسلّل إلى منطقتنا في الشتاء. هكذا أصبح تريفور حبيس المنزل على مدار العام.



بين أولاد شارع سوراي العلوي وأولاد شارع سوراي السفلي حقد قديم ودفين، ولهذا السبب يستحيل أن نصبح أصدقاء. لكن كلّما حاولت أن أشرح الوضع لوالدتي، ترفض أن تفهم.

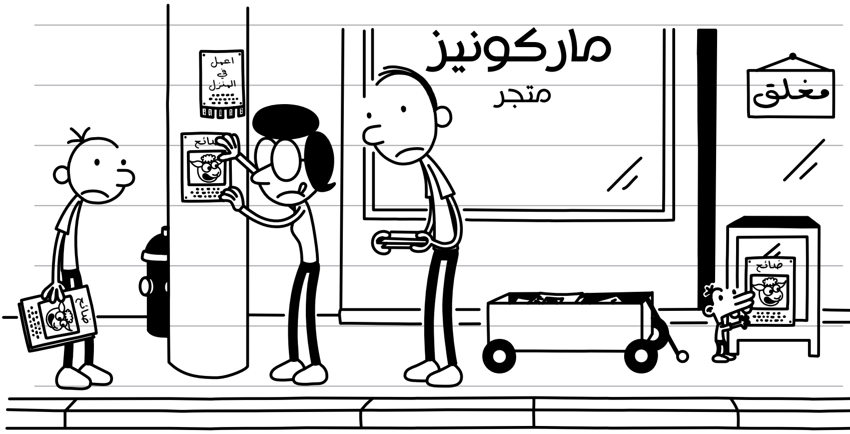
في الواقع، جميع الأمّهات في شارعنا لا يفهمن. فكلّهن صديقات، ولا يملكن أدنى فكرة عن حقيقة الوضع.



مع ذلك، الأمور هادئة حالياً في شارعنا. فنحن أولاد التلّة ملتزمون بمنطقتنا وبقيّة الأولاد ملتزمون بمنطقتهم. لكن إن ارتكب ولد من الأولاد حماقة، فسيشتعل المكان بأكمله.

الأحد

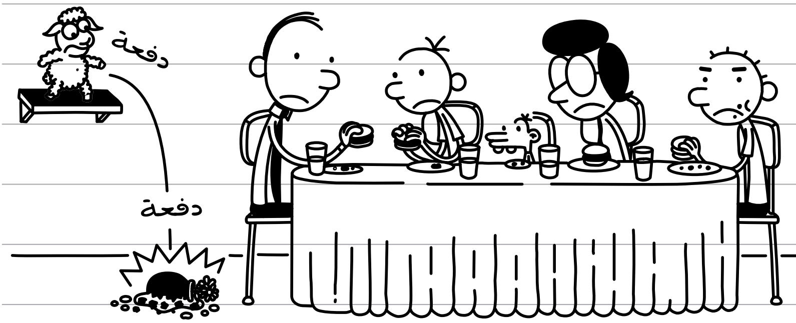
في عطلة نهاية الأسبوع انخفضت الحرارة نحو خمس عشرة درجة، لذلك خرجت أسرتي اليوم بحثاً عن خروفنا الصغير.



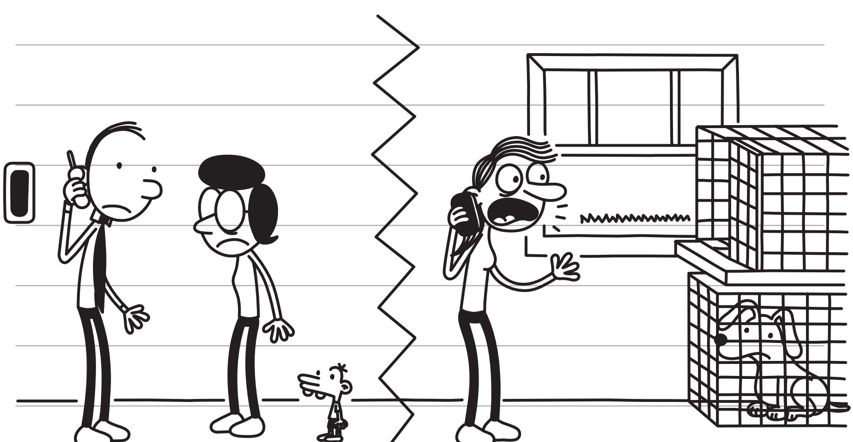
في عطلة الميلاد، سافرت أسرتي وتركنا الخروف في مأوى للكلاب. لكنني أعتقد أنّ الخروف كان ينوي المجيء معنا، ولم يفرح كثيراً لأنّنا تركناه خلفنا.



عندما عدنا إلى البيت، عبّر لنا الخروف عن استيائه لعدم اصطحابنا له في رحلتنا العائلية.



بعد بضعة أيّام من تمرّد الخروف، طفح كيل أبي، فأرسله إلى «مدرسة ترويض». غير أنّنا تلقّينا في اليوم التالي اتّصالاً من السيدة التي تدير المكان، وأخبرتنا أنّ خروفنا هرب.



قمنا مؤخّراً بتعليق مناشير نطلب فيها المساعدة على إيجاد خروفنا الضائع. لكنّ ذلك المخلوق ذكيّ، ولا أظنّه ضائعاً، بل هو لا يريد أن يعثر عليه أحد.

أعتقد أنّ خروفنا يمضي فترة سبات الشتاء في مكان ما. ومع أنّ أمّي تقول إنّ الخرفان لا تنام في الشتاء، لكنني أرى أنه يجب عليها ذلك.

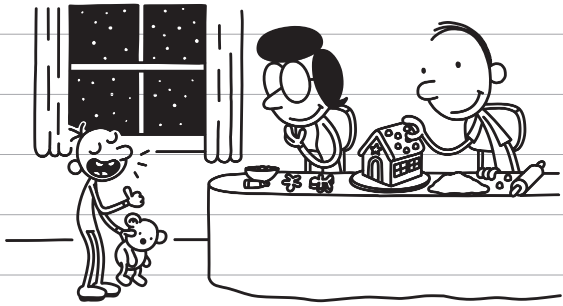
لو كنت حيواناً، هذا بالضبط ما كنت سأفعله في الوقت الحاضر. ففي آخر يوم من أيّام الخريف، ينبغي على الجميع ارتداء البيجاما والاختباء حتّى الربيع.



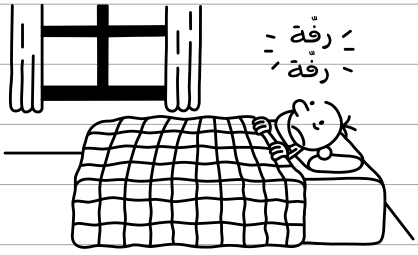
عندما كنت أصغر سنّاً، حاولت فعلاً أن أنام طوال الشتاء، لكنّ الأمر لم ينجح.

كنت أتحمّس كثيراً للميلاد، وما إن يحلّ شهر ديسمبر حتّى يصبح من الصعب عليّ انتظار اليوم الكبير.

عندما حلّ الأوّل من ديسمبر في أحد الأعوام، قلت لوالدَيّ إنّني ذاهب للنوم، وطلبت منهما ألّا يوقظاني حتّى صباح الميلاد. وفوجئت كثيراً لأنّهما لم يعترضا.



خلدتُ إلى الفراش تلك الليلة، لكنّني لم أنم سوى حتّى الساعة 1:30 من بعد ظهيرة اليوم التالي. وهكذا اختلّ برنامج نومي للأسبوعين التاليَين.



يقول أستاذ العلوم إنّه من المستحيل على الإنسان النوم طوال فصل الشتاء، لكنّني لست واثقاً 100% من صحّة ذلك.

يعيش في الغابة عدد من الأولاد يسمّيهم الجميع أولاد مينغو. لا أحد يرى أولئك الأولاد في الشتاء، وعندما يظهرون للمرّة الأولى في الربيع، يبدون كأنّهم استيقظوا للتوّ.

أتساءل: ماذا كانوا يفعلون طوال الشتاء إن لم يكونوا نائمين.

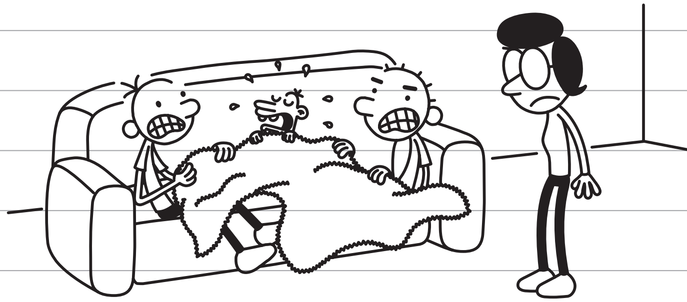


أمّا نحن الناس العاديون، فعلينا تحمّل الطقس البارد ومواصلة حياتنا.

والطريقة الوحيدة لذلك هي البقاء في الداخل قدر الإمكان وتدفئة أجسادنا.

عندما عدنا من رحلتنا منذ عدّة أسابيع، وجدنا طرداً على الدرج الأمامي. كان هدية الميلاد من العمّة دوروثي. وعندما فتحناه، وجدنا داخله بطّانية كبيرة.

كان ذلك الشيء رائعاً. إذ كان مصنوعاً من قماش ناعم، وسميك في الوقت نفسه، تماماً كما أحبّ أن تكون بطّانياتي. المشكلة الوحيدة أنّ البطّانية كانت لنا نحن الصبيان الثلاثة، فبدأنا نتشاجر عليها فوراً.



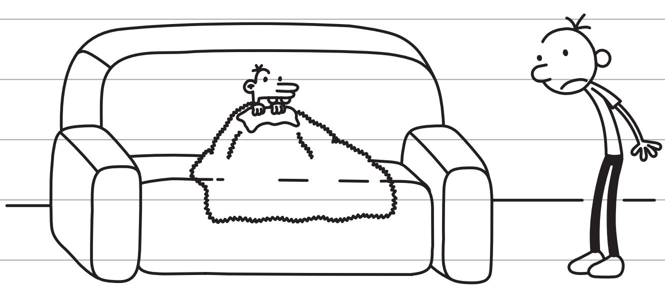
أردنا جميعاً استخدام البطّانية في الوقت نفسه، فقالت أمّي إنّه من الأفضل أن نتناوب على استعمالها.

لكنّنا نحن الثلاثة لم نكن نجيد المشاركة، لذلك اضطرّت أمّي إلى وضع برنامج يحدّد لكلّ منّا أوقات استعمالها.

برنامج البطّانية

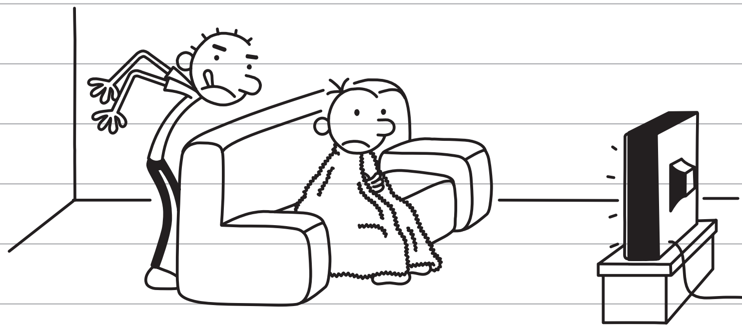
6:00 ب.ظ.	7:30 ب.ظ.	9:00 ب.ظ.
ماني	ماني	ماني
6:30 ب.ظ.	8:00 ب.ظ.	9:30 ب.ظ.
غريغ	غريغ	غريغ
7:00 ب.ظ.	8:30 ب.ظ.	10:00 ب.ظ.
رودريك	رودريك	رودريك

لكنّ ذلك لم يكن عادلاً على الإطلاق. فماني يملك بطّانية خاصّة به، وكان بالتالي يستفيد من مصدرين.

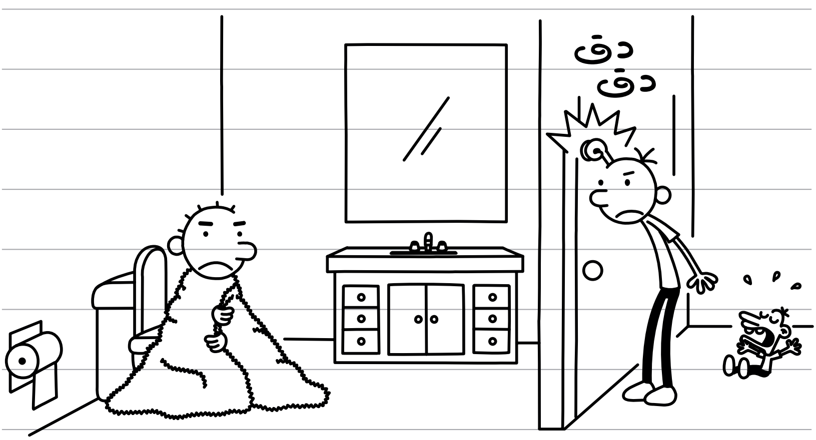


عندما كان يحين دوري لاستعمال البطّانية، كنت أحاول الاستفادة منها إلى أقصى حدّ.

لكنّني لم أكن أستمتع، لأنّ روديك يبدأ بالدوران حولي قبل خمس عشرة دقيقة من انتهاء مدّتي.



كان كلّ منّا يحصل على نصف ساعة مرّتين ليلاً. لكنّ روديك كان يغشّ ماني عندما يحين دوره، فيأخذ البطّانية معه إلى الحمّام قبل أن تبدأ مدّة ماني، ثمّ يمضي هناك ساعة من الوقت، ويقتطع من مدّتي.



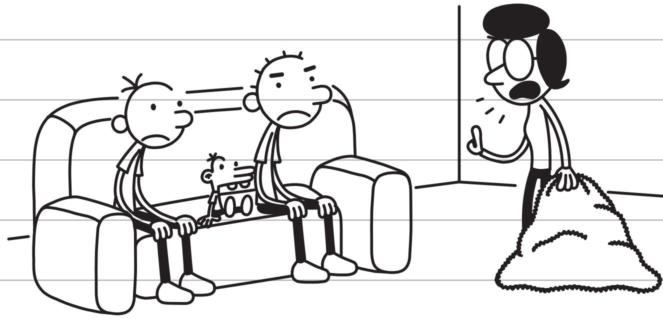
عندئذٍ أصـدرت أمّـي قانوناً يحظر علينا إدخال البطّانية إلى الحمّام.

في إحـدى الليالي، نمتُ بالبطّانية في غرفتي. فاشتكى روديـك لأنّـه أراد استعمالها خلال تناول الإفطار. فأصدرت أمّي قانوناً جديداً ينصّ على إعادة البطّانية إلى الطابق السفلي عند الساعة الثامنة من كلّ صباح.

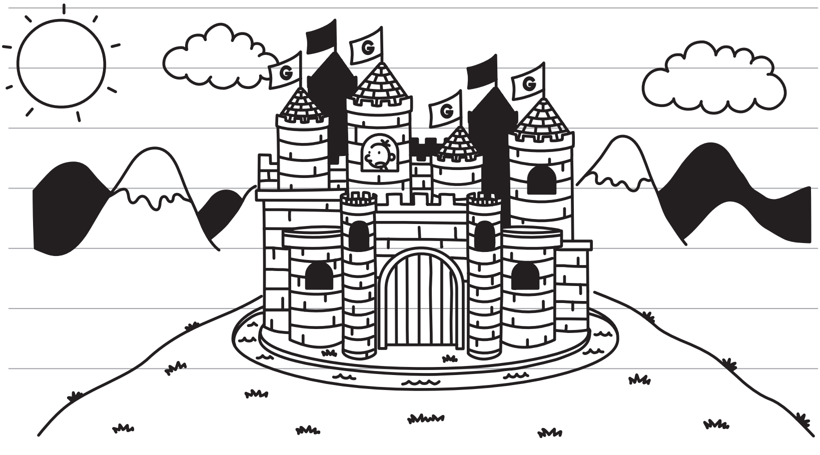
بحلول نهاية الأسبوع الأوّل، أصبح لدينا قوانين كثيرة بحيث اضطرّت أمّي إلى جمعها في كتيّب من خمس وعشرين صفحة.



لكنّ ذلك لم يحلّ المشكلة، الأمر الذي اضطرّ أمّي في نهاية المطاف إلى مصادرة البطّانية وإعطائها إلى شخص «يستحقّها». وقالت إنّ الذنب ذنبنا كوننا لم نستطع امتلاك شيء جميل، لأنّنا لم نعرف كيف نتشاركه معاً.



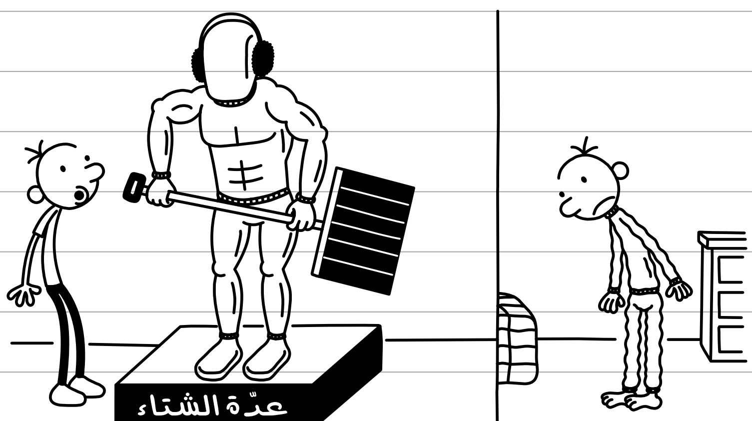
يتحدّث الكبار دائماً عن جمال المشاركة، لكنّني أعتقد أنّ كلامهم مبالغ فيه. ولو جمعت يوماً ما المال الكافي، سأبني قصراً كبيراً، وسأضع بطّانية كبيرة وسميكة في كلّ غرفة.



الاثنين

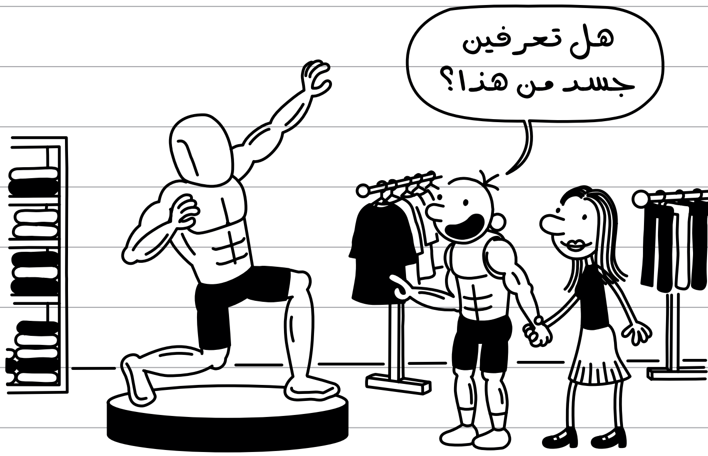
عندما استيقظتُ هذا الصباح، كانت الحرارة دون الصفر في الخارج. فسررت لأنّ الطقس أصبح شتوياً مجدّداً. لكن عندما طلبت منّا أمّي ارتداء ملابس داخلية شتوية للذهاب إلى المدرسة، خطر ببالي أنّ الاحتباس الحراري العالمي ليس سيّئاً في النهاية.

أنا أكره الملابس الداخلية الشتوية، لأنّها غير مريحة، ولأنّني أجدها سخيفة. فهي تبدو جذّابة على تمثال عرض الملابس في المتجر، لكن عندما أرتديها أبدو مثل بطل خارق متقاعد.



فتماثيل عرض الملابس منفوخة العضلات دائماً، وتدفع الفتيات مثلي الذين لا يستطيعون قضاء ثلاث ساعات متواصلة في قاعة الرياضة كلّ يوم إلى الشعور بأنهم مجرّد نكرة.

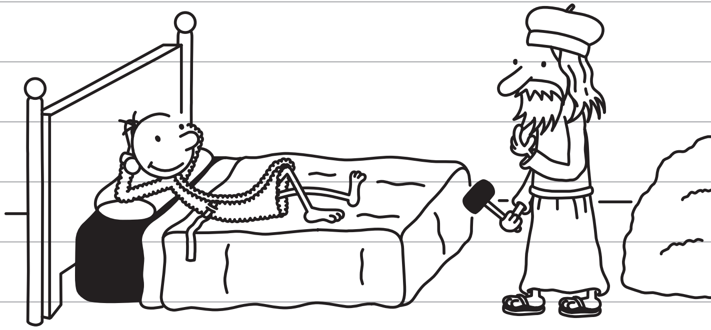
إن أصبح جسدي رياضياً يوماً، سأتسجّل لأكون نموذجاً لتماثيل العرض. فهذا سيكون مصدر تباهٍ رائعاً عندما أكون على موعد مع فتاة.



تماثيل العرض التي نراها في المتاجر الرياضية تتّخذ دائماً وضعيّات رياضية. ويبدو لي أنّه سيكون من الصعب البقاء في هذه الوضعية بينما يقوم شخص آخر بنحت تمثال لكم. فهذا مجهود كبير جدّاً بالنسبة إلى وظيفة ينبغي أن تكون سهلة.



لذلك عندما سأتقدّم لعمل كهذا، سأعرض جسدي على سرير وأنا أرتدي ملابس سباحة.

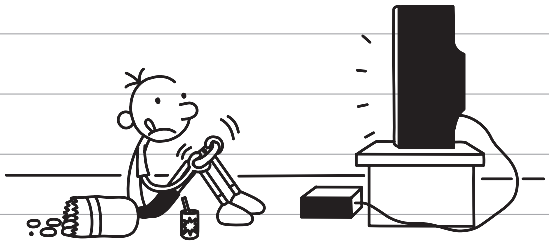


تقول أمّي دائماً إنّني محظوظ لأنّني أمتلك ملابس داخلية شتوية، ذلك أنّ أجدادنا كانوا يفتقرون إلى هذا النوع من الثياب التي تحافظ على الدفء.

أتساءل في بعض الأحيان بشأن أجدادي. فأنا لا أفهم لماذا اختاروا العيش هنا في حين أنّه كان بإمكانهم إيجاد مكان أكثر دفئاً بكثير.



لكن لا يمكنني التذمّر، لأنّهم استطاعوا البقاء على قيد الحياة، وكلّ شيء وصل إليّ مباشرة. أتمنّى فقط لو كان بإمكانهم رؤيتي ليعرفوا أنّ كلّ تضحياتهم لم تذهب سدى.

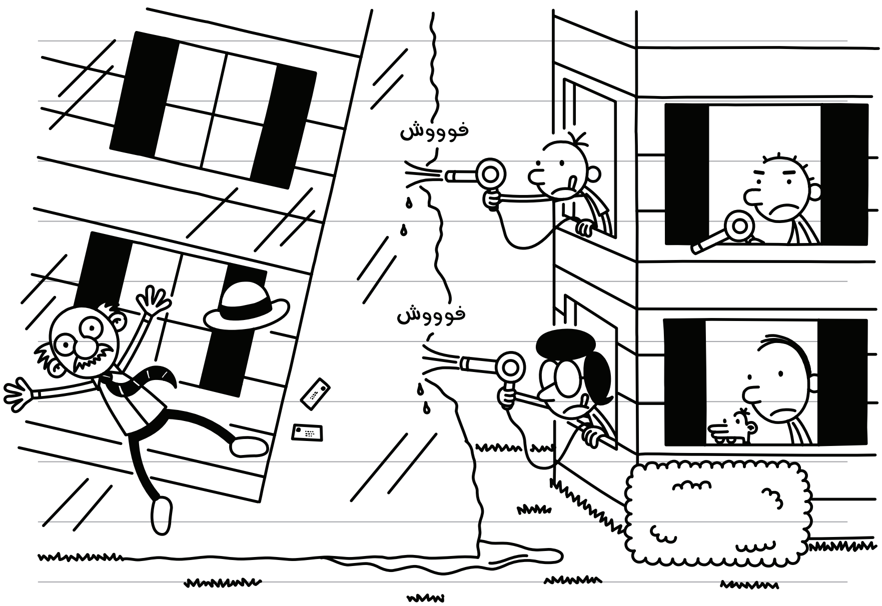


أعتقد أنّنا محظوظون جميعاً لوجودنا هنا، لأنّ الكائنات البشرية مرّت بكثير من الصعوبات إلى أن أصبحت على ما هي عليه الآن.

أخبرونا في المدرسة أنّـه منذ 10,000 عام كان نصف الكرة الأرضية مكسوّاً بغطاء من الجليد. وبما أنّنا تجاوزنا ذلك، أعتقد أنّنا نستطيع تجاوز أيّ شيء.

تقول معلّمتي إنّ الأرض ستمرّ في يوم ما بعصر جليدي آخر، وإنّ الجبال الجليدية ستعود. غير أنّني أتمنّى ألّا يحدث ذلك قريباً.

وإن حدث ذلك، أتمنّى أن تتحرّك تلك الجبال الجليدية ببطء لكي نتمكّن من فعل شيء.



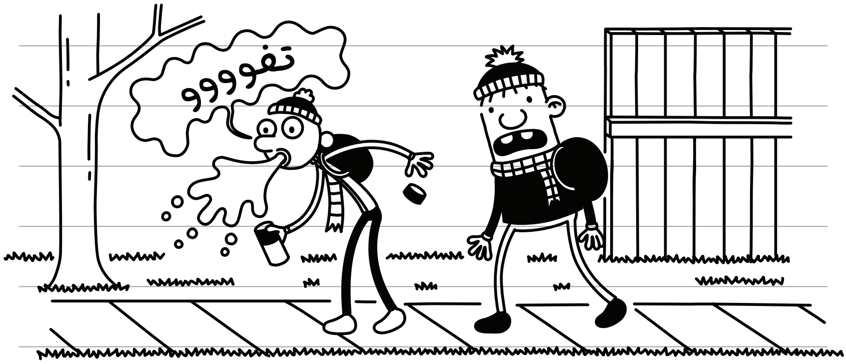
لا أدري ما هو الأسوأ: كوكب حارّ جدّاً أم بارد جدّاً. كلّ ما أعرفه أن هذا اليوم كان شديد البرودة ولم أجد الذهاب سيراً على الأقدام إلى المدرسة نزهة ممتعة.

حاولت تسلية نفسي بالتفكير في أمور أحبّها في الشتاء، لكنّ القائمة كانت قصيرة حقّاً. صحيح أنّ الميلاد رائع، لكن من بعده يمرّ الوقت ببطء شديد.

برأيي، مصدر المتعة الوحيد في الشتاء هو الشوكولاته الساخنة. كنت عنصراً في دوريّات الأمن، وكنت أحصل على الشوكولاته الساخنة مجّاناً في المدرسة. لكن بعد أن طُردت، أصبحت مضطرّاً لإعدادها بنفسي.

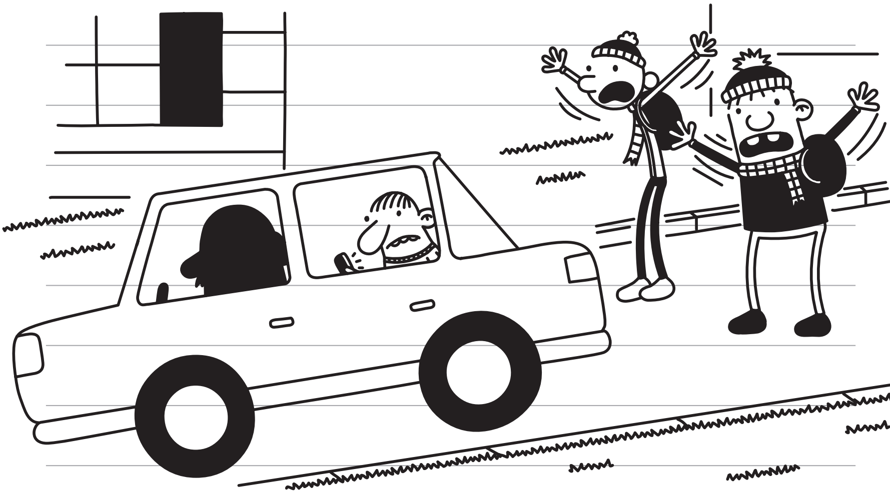
مؤخّراً، كنت أملأ قارورة حافظة للحرارة بالشوكولاته الساخنة كلّ صباح، وهكذا أشعر بالدفء في طريقي إلى المدرسة.

لكن يبدو اليوم أنّ أبي أخذ قارورتي وترك لي قارورته. ولم أدرك ذلك إلّا بعدما أخذت جرعة كبيرة من حساء كريما الفطر.



ليت أمّي وأبي يوصلانني إلى المدرسة صباحاً، لكنّهما يغادران قبلي بنصف ساعة.

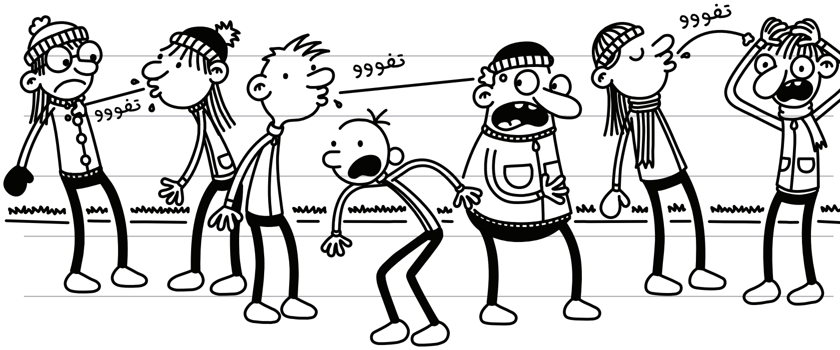
يقوم بعض أهالي تلّتنا بإيصال أولادهم إلى المدرسة في الأيّام الباردة كهذا اليوم. لكن عندما نلوّح لهم أنا وراولي لأخذنا معهم، لا ينظرون إلينا. وهذا معيب حقّاً، لأنّه يفترض بنا نحن أولاد التلّة أن نساند بعضنا بعضاً.



كان الطقس بارداً جدّاً اليوم فقرّر الأساتذة إبقاءنا في الصفوف خلال الفرصة، ولم أمانع في ذلك بتاتاً.

آخر مرّة خرجنا فيها إلى الملعب في يوم كهذا، قال الأولاد إنّ الطقس كان بارداً جدّاً حتّى إنّ البصقة تتجمّد قبل أن تصل إلى الأرض.

تبيّن أنّهم كانوا مخطئين، وكانت الفرصة في ذلك اليوم كابوساً حقيقياً.



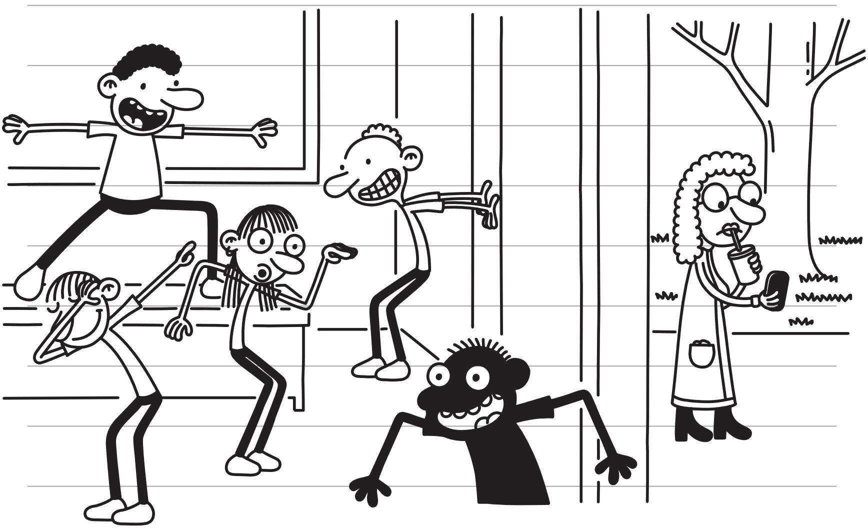
لا تكون الفرصة في الصفوف ممتعة عادة. إذ لا يُسمح لنا سوى بألعاب الطاولة والبازل، لكنّ الأجواء تضطرب دائماً ويجد الأولاد طرقاً لإحداث الفوضى.



اليوم، قالت معلّمتنا إنّنا سنجرّب شيئاً جديداً.

هكذا، علّمتنا لعبة تسمّى «المتحف». وفيها يجب على كلّ منّا أن يقف ساكناً مثل تمثال لأطول مدّة ممكنة.

كانت لعبة ممتعة حقّاً، لكن عند انتهاء الفرصة، أدركت أنّها مجرّد طريقة سهلة لجعلنا نحسن السلوك لمدّة نصف ساعة.



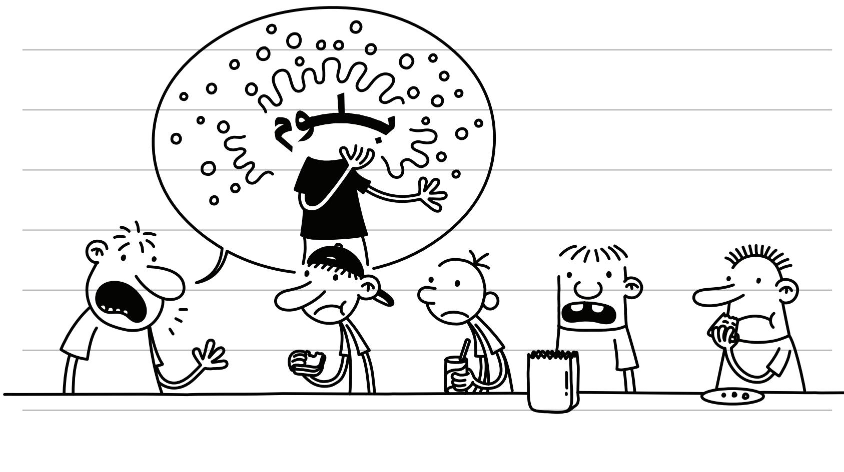
ما لا أحبّه في البقاء في الصفّ في الشتاء أنّ كثيراً من الأولاد يكونون مرضى، ولا أريد أن ألتقط العدوى من أحد.

فمدرستنا مليئة بالجراثيم، ولا أحد يغطّي فمه عندما يقحّ أو يعطس.

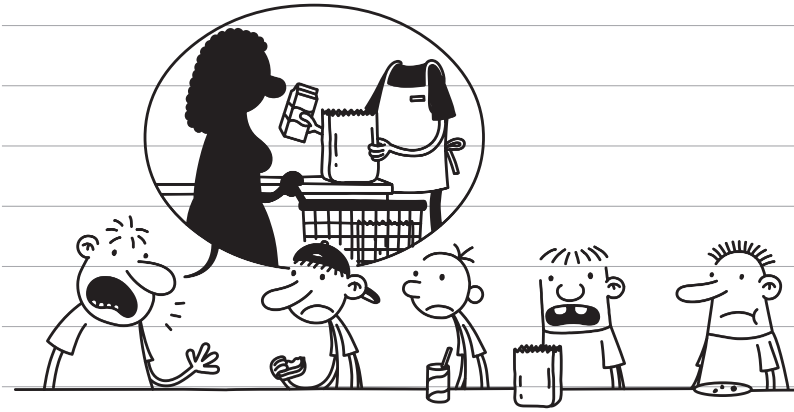
لذلك أعتبر السير في الأروقة بين الصفوف أشبه بالسير في ساحة حرب .



لا أحد يتذكّر أن يعطس في ثنية ذراعه، والأولاد الذين يتصرّفون مثل ألبرت ساندي لا يسهّلون الأمور . فقد أخبرَنا ألبرت اليوم قصّة على الغداء عن ولد غطّى فمه وهو يعطس، فانفجر رأسه .



قلت لألبرت إنّ هذه القصّة ليست صحيحة، لكنّه أقسم على ذلك. قال إنّ الشابّ بقي على قيد الحياة، وهو يعمل الآن حمّالاً في متجر محلّي.



تعوّد ألبرت على نشر معلومات خاطئة كهذه، والأولاد الذين يجلسون إلى طاولتي يصدّقون كلّ كلمة يقولها. والآن يُرجّح أن لا يغطّي أيّ منهم فمه عندما يعطس.

منذ أسبوعين، قال ألبرت إنّه عندما يموت الحيوان الأليف في الشتاء، ينبغي على صاحبه انتظار ذوبان الثلوج في الربيع قبل أن يدفنه. ويحتاج بالتالي إلى مكان يحتفظ به بجثّة الحيوان بانتظار ذلك.

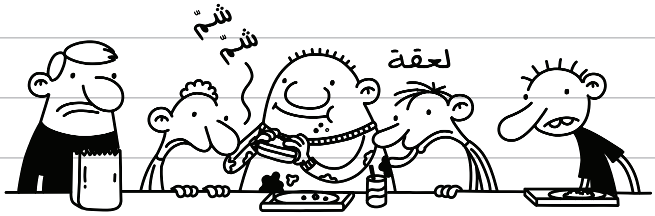
قال ألبرت: إنّ أهل بلدتنا يستخدمون الثلّاجة الضخمة في كافيتيريا المدرسة لتخزين جيف حيواناتهم خلال فصل الشتاء، وإنّ الثلّاجة حاليّاً ممتلئة تماماً.



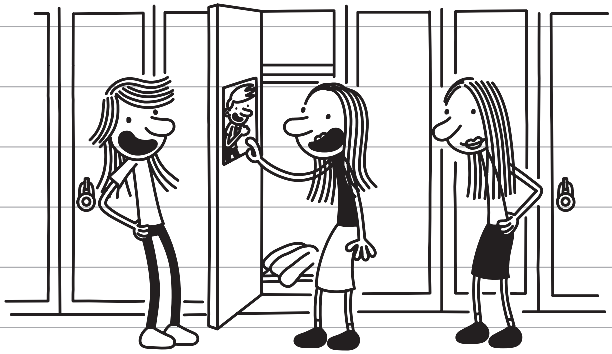
أنا واثق تقريباً أنّها قصّة أخرى من قصص ألبرت السخيفة. لكن حتّى نجد خروفنا، لن أطلب طبق اللحم المشوي، من باب الاحتياط.

أنا أفكّر جدّياً بتغيير الطاولة التي أجلس عليها في فرصة الغداء، لأنّني سئمت من الجلوس مع ألبرتساندي وجميع أولئك الحمقى كلّ يوم. وأكثر ولد لن أشتاق إليه بينهم هو تيدي سيلفيتي، الذي يرتدي الكنزة نفسها طوال الشتاء.

لم تُغسل كنزة تيدي قطّ، وتلوّنت بشتّى أنواع البقع. في بعض الأحيان، يحاول الأولاد الجالسون إلى طاولتي تخمين مصدر كلّ بقعة، وهذا ما كانوا يفعلونه اليوم.

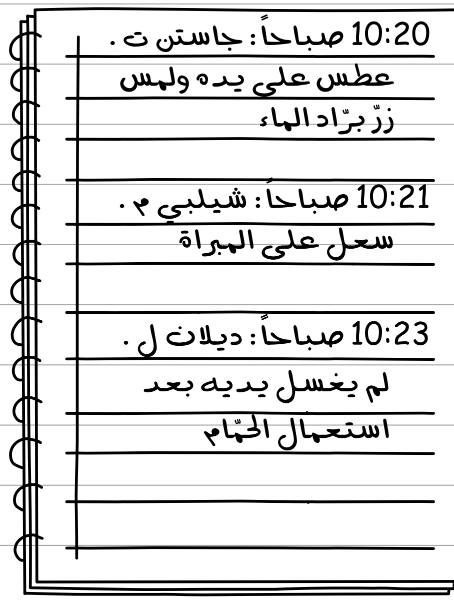


كما ترون، لهذا السبب تعلّق فتيات مدرستي صور المطربين في خزائنهنّ. فالخيارات بين فتيات صفّي ليست مغرية.



لا يمكنني أن أتخيّل حتّى عدد الجراثيم التي تعيش باطمئنان على كنزة تيدي. لهذا السبب أجلس دائماً على مسافة مقعدين منه على الأقلّ.

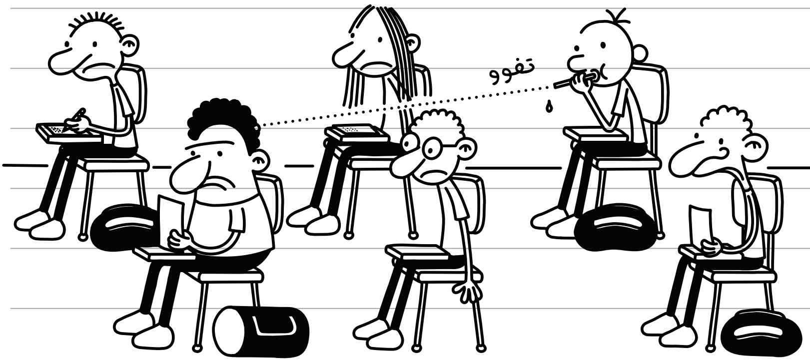
هكذا أنفق معظم طاقتي الفكرية في المدرسة على متابعة أماكن تلك الجراثيم. وقد سبق أن ملأتُ دفترين هذا الشتاء.



وتصبح الأمور أصعب بوجود توأمين في الصفّ مثل جيريمي وجايمسن غارزا. فأنا لا أستطيع التمييز بينهما، وقد بدا لي اليوم أنّ أحدهما مريض والآخر سليم.

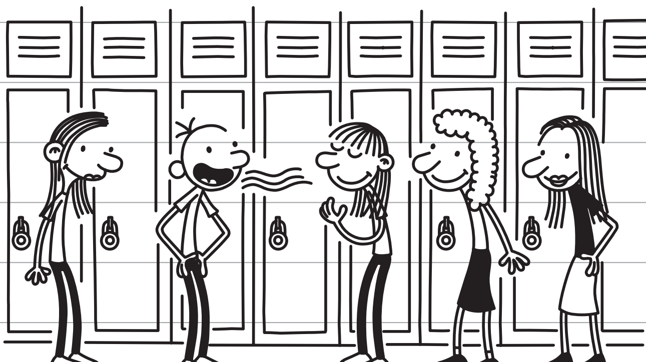


لذلك أطلقتُ كرة ورقية على شعر التوأم المريض ليسهل عليّ تمييزه.



الحسنة الوحيدة في المرض هي الأقراص بنكهة الكرز التي تعطيني إيّاها أمّي عندما تلتهب حنجرتي. أعرف أنّه يفترض بي مصّها ببطء، إلّا أنّني أمضغها كالسكاكر، وأستهلك عدّة علب منها في اليوم.

ففتيات صفّي يعشقن رائحة أقراص الكرز، الأمر الذي يجعل المرض يستحقّ المعاناة.



لسوء الحظّ، يحبّ فتيان صفّي الرائحة هم أيضاً، ويحاولون دائماً حملي على إعطائهم منها.

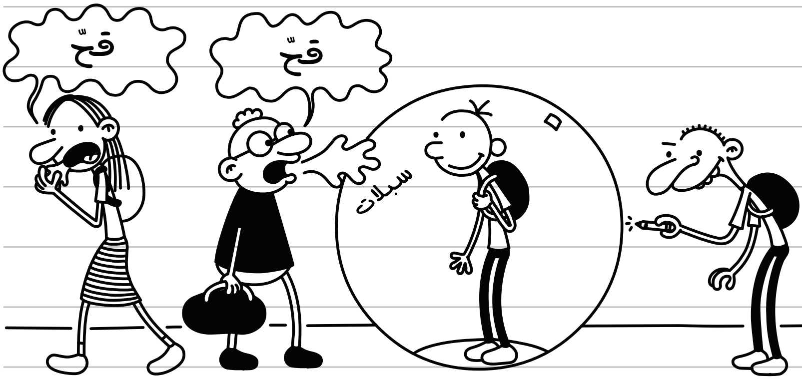
منذ بضعة أسابيع، شعرت أنّ حنجرتي ستلتهب، فاشتريت ثلاث علب من أقراص الكرز وأخذتها معي إلى المدرسة. وضعت إحداها في جيبي والعلبتين الأخريَين في خزانتي.

غير أنّ جايك ماكغوف اشتمّ رائحة الأقراص الموجودة في الخزانة. وعندما اكتشفتُ الأمر، كان عنتر قد غزا الخزانة.



ليتني لا أذهب إلى المدرسة إطلاقاً في موسم البرد والزكام. ربّما أشتري يوماً تلك الفقاقيع البلاستيكية الكبيرة لكي لا أتعرّض لجراثيم الأولاد الآخرين.

لكنّني واثق أنّ فقاعتي لن تدوم طويلاً قبل أن يفجّرها أحد الحمقى.

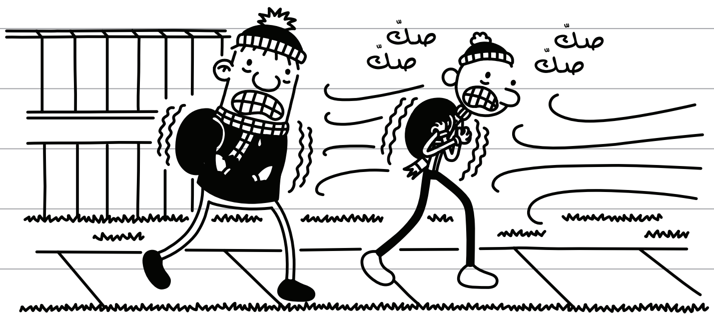


مع أنّني أكره المرض، لكنّني سعيد لأنّهم لم يكتشفوا علاجاً للزكام بعد.

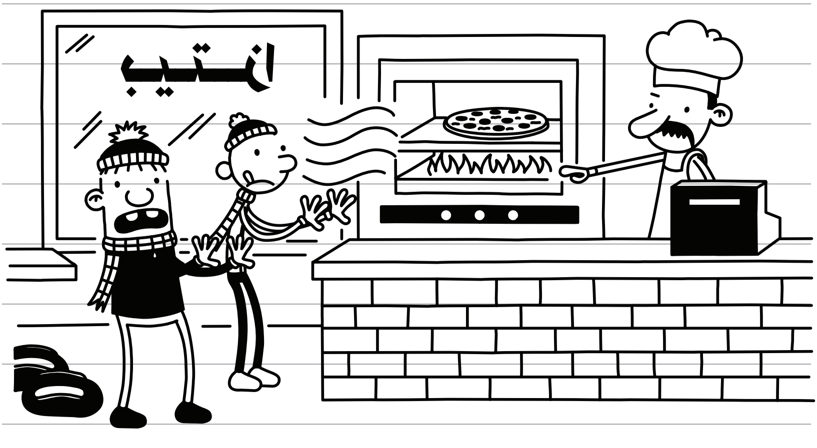
ولو اكتشفوه، فلن أتمكّن من ادّعاء المرض والتغيّب عن المدرسة لممارسة ألعاب الفيديو.



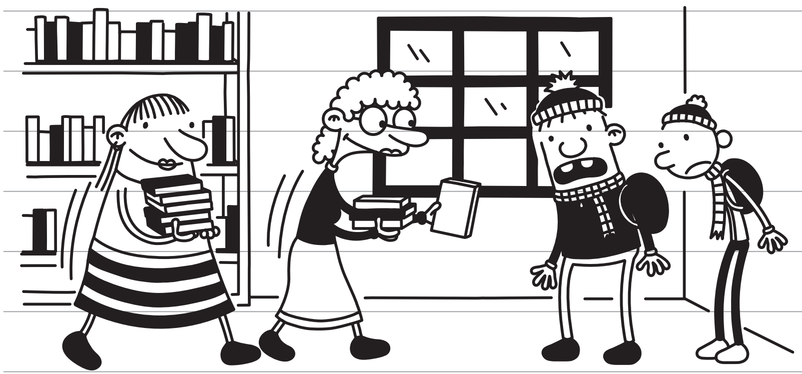
كان الطقس أبرد اليوم في طريق العودة إلى البيت منه في الطريق إلى المدرسة. وهذه المرّة كنّا بعكس اتّجاه الرياح، الأمر الذي جعل الوضع أسوأ بعشر مرّات.



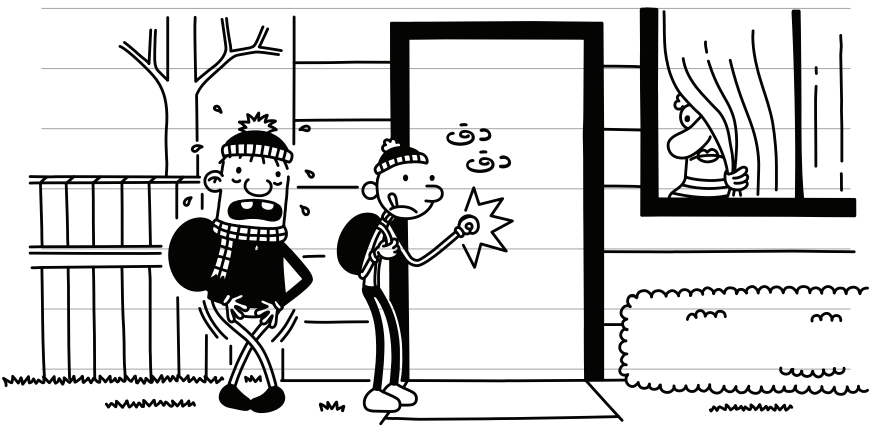
كان البرد قارساً لدرجة أنّنا اضطررنا للتوقّف عدّة مرّات في الطريق إلى البيت. أوّل مكان دخلناه كان مطعم البيتزا، لأنّ فيه فرناً كبيراً ينشر الدفء في المكان بأكمله. لكن عندما أدرك صاحب المطعم أنّنا لن نشتري شيئاً، طردَنا فوراً.



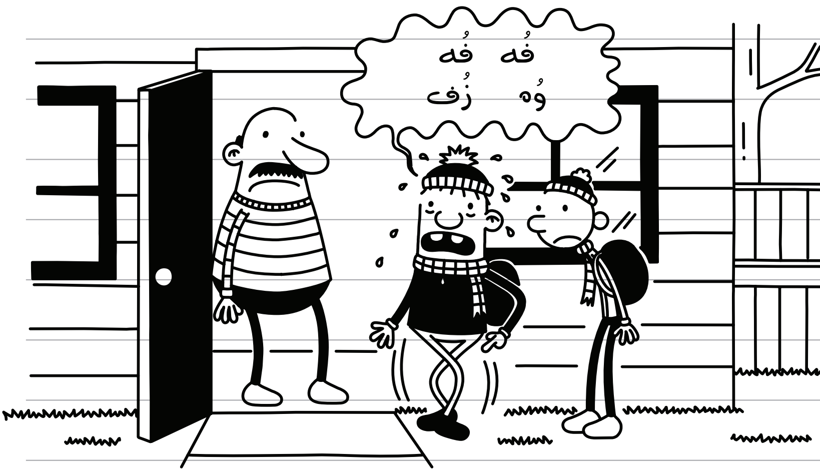
محطّتنا التالية كانت مكتبة البلدة؛ فهو مبنى عامّ، ولا يستطيع أحد إجبارنا على مغادرته. لكن عندما بدأت أمينتا المكتبة تلحّان علينا لقراءة الكتب، رحلنا من تلقاء نفسينا.



مع ذلك، ليتنا استعملنا حمّام المكتبة قبل خروجنا، لأنّه في منتصف الطريق إلى البيت، شعر راولي بحاجة ملحّة لدخول الحمّام. طرقنا عدّة أبواب، لكن عندما كان يرانا أصحاب المنازل، كانوا يمتنعون عن فتح الباب على اعتبار أنّهم ليسوا في الداخل.



أخيراً، فتح أحدهم بابه، لكن بحلول ذلك الوقت، كان وجه راولي قد تجمّد إلى حدّ أنّه بالكاد استطاع التفوّه بكلمة.



عندما وصلنا إلى أسفل شارع سوراي، ظننت أنّني قد أضطرّ إلى طلب الإسعاف لنقل راولي إلى الطوارئ. لكنّني كنت أعرف أنّ أحداً من أولئك الأشخاص لن يسمح لنا بدخول منزله.

كان هناك صخرة كبيرة في باحة منزل السيّد كي. فقلت لراولي أن يختبئ خلفها ويقضي حاجته. ما كنت أنا لأفعل شيئاً كهذا في هذا البرد، لأنّ ألبرت ساندي روى لنا قصّة عمّا حلّ بولد فعل ذلك.

لكنني وجدت أنّ الوقت غير مناسب لأحكيها لراولي، ولست واثقاً في الأساس أنّه يجدر براولي فعل ذلك في أيّ حال.

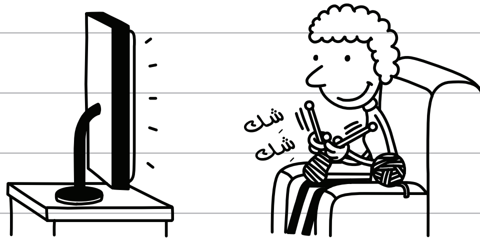
أيّاً يكن ما يفعله راولي هناك، إلّا أنّه استغرق وقتاً طويلاً. خرج بعض أولاد شارع سوراي السفلي من منازلهم للعب، ولم يلبث أن جذب راولي حشداً من الأولاد حوله. فتراجعتُ إلى الخلف لكي لا يعرف الناس أنّني معه.



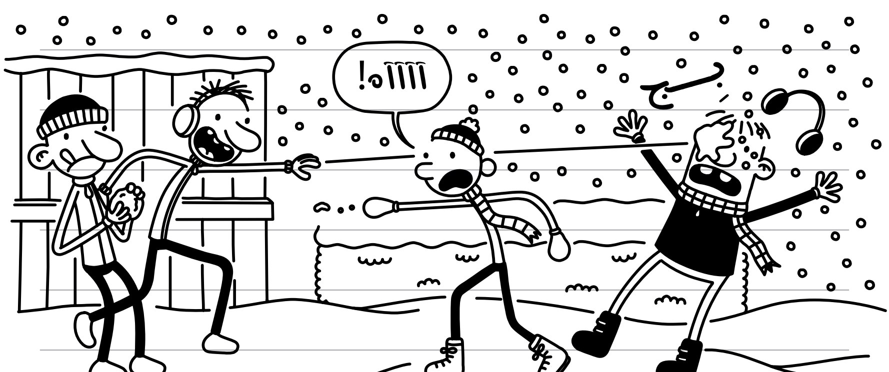
لحسن الحظّ، خرجنا من هناك قبل أن يدرك أحد ما يجري. فهذا الأمر من الأمور السخيفة التي قد تشعل حرباً.

الثلاثاء

كان البرد قارساً جدّاً هذا الصباح، فبحثت في الخزانة عن وشاح وقفّازَين. لم أجد قفّازَيّ المعتادَين، بل عثرت على القفّازَين اللذين حاكتهما لي جدّتي منذ عامين. لسوء الحظّ، عندما صنعت جدّتي القفّازين، نسيت الإبهامين.



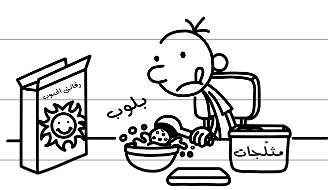
لذلك، يمكن اعتبار قفّازَيّ جرابَين. أتمنّى فقط أن أعثر على قفّازَيّ الحقيقيَين قبل أن تثلج مجدّداً لكي أتمكّن من الدفاع عن نفسي.



توصيني أمّي دائماً بوضع واقٍ للأذنين. غير أنّني تعلّمت بالتجربة أن الأولاد إذا عرفوا أنّكم لا تستطيعون سماعهم، فلن يتركوكم بحالكم.



سبب إحساسي القويّ بالبرد أنّني نحيل جدّاً ولا أملك طبقة دهنية عازلة. أحاول كلّ شتاء أن آكل كثيراً لأحصل على طبقة إضافية من الدهون، لكن أعتقد أنّني أحرق الطعام بسرعة لأنّ جهودي تذهب هباءً.



أعتقد أنّ الحرارة في الخارج قاربت عشر درجات هذا الصباح، وفي الطريق إلى المدرسة رحت أتساءل ما إذا كانت دماء الإنسان يمكن أن تتجمّد.

فقد سمعت أنّ ستّين بالمائة من جسم الإنسان مكوّن من الماء على ما أظن، لذلك هذا محتمل برأيي. لكني أعتقد أنّ هذا الأمر اختلقه ألبرت ساندي.

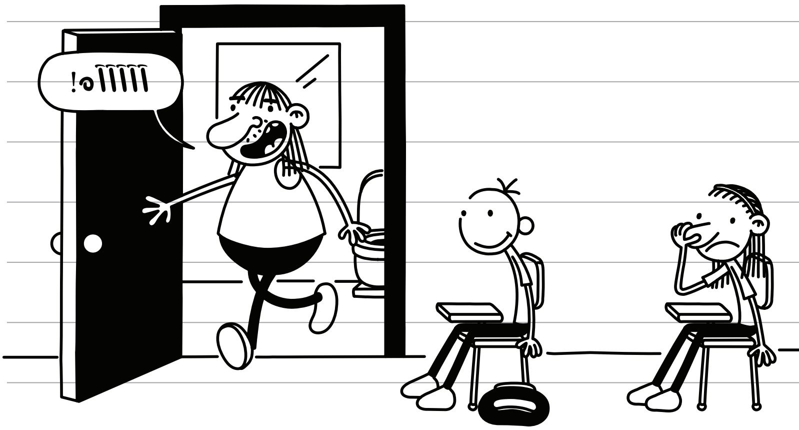
أكثر ما يخيفني قرصة الجليد. ففي منتصف الطريق إلى المدرسة بدأت أشعر بوخز في أذنيّ وتمنّيت لو أصغيت لأمّي ووضعت واقي الأذنين.

خفت أن تسقط إحدى أذنيّ من شدة التجمّد وألّا ألاحظ ذلك حتّى أصبح في الصفّ.

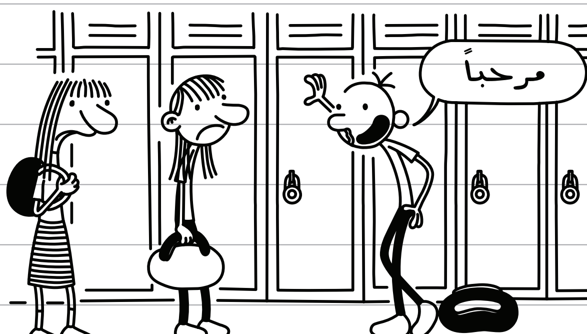


ولم أكن خائفاً على أذنيّ وحسب، إذ يبدو أنّ قرصة الجليد تصيب كثيراً من أجزاء الجسد.

أنا لا أريد مثلاً أن أخسر أنفي، لأنّني سأبدو مخيفاً من دونه. إلّا أنّ طاولتي في صفّ الاجتماعيات تقع بجانب الحمّام تماماً، وستكون هذه على الأقلّ ميزة جيّدة.



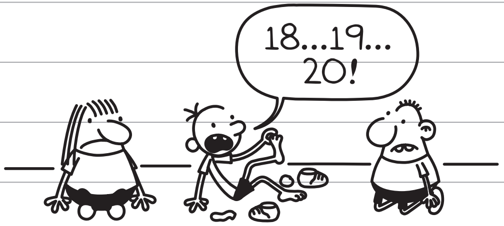
أتساءل إن كان الأنف يستمرّ بالسيلان بعد سقوطه. فأنا أعاني دائماً من سيلان الأنف في الأيّام الباردة، ولا أدرك أنّ السائل متجمّد على وجهي إلّا بعد فوات الأوان.



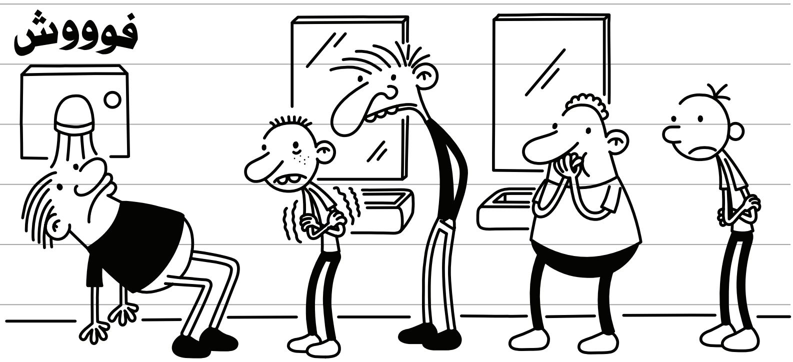
أنا متمسّك أيضاً بشفتيّ، لأنّني من دونهما سأبدو دائم التبسّم. وفي بعض الحالات قد يسبّب ذلك مشكلة.



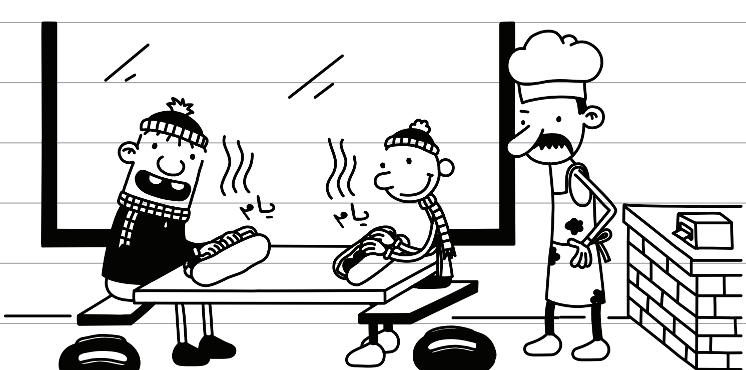
أنا محظوظ لأنّني عثرت على القفّازين الضائعَين، لأنّني لا أريد أن أخسر أيّاً من أصابعي أيضاً. في الحقيقة، أنا لا أستطيع الاستغناء إلّا عن إصبعَي قدميّ الصغيرين، لأنّني بالكاد أستعملهما. أذكر أنّ آخر مرّة استعملتهما كنت في روضة الأطفال وأردتُ أن أعدّ حتّى العشرين. لكن بخلاف ذلك، لا أذكر أنّني احتجت إليهما.



أعتقد أنّ كثيراً من الأولاد الآخرين يخشون قرصة الجليد أيضاً، لأنّني عند وصولي إلى المدرسة، وجدت صفّاً طويلاً من الفتيان في الحمّام ينتظرون استعمال مجفّف اليدين. فتأخّرت خمس دقائق عن الحصّة الأولى.



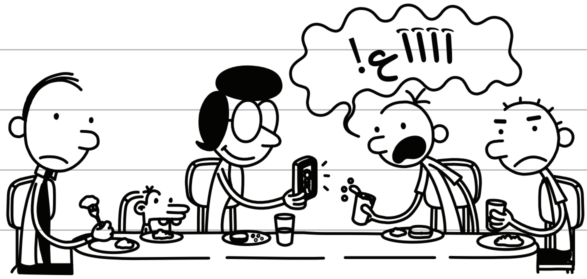
لم تكن الرياح قوية في طريق العودة إلى البيت اليوم، لكنّ الطقس ظلّ بارداً. توقّفنا أنا وراولي في مطعم البيتزا مجدّداً التماساً للدفء، ذلك أنّ راولي عثر على تذكرة لشطيرتين مجّانيتين من كرات اللحم في جيب معطفه.



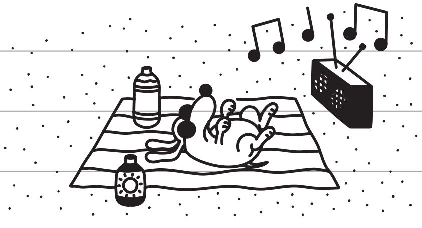
بعد خروجنا من مطعم البيتزا، كان الطريق أمامنا لا يزال طويلاً. فخطرت ببالي فكرة.

يقع منزل جدّتي في منتصف الطريق بين مدرستنا وشارع سوراي، وكنت أعرف أنّه خالٍ. فجدّتي تنتقل إلى الجنوب كلّ شتاء ولا ترجع حتّى الربيع.

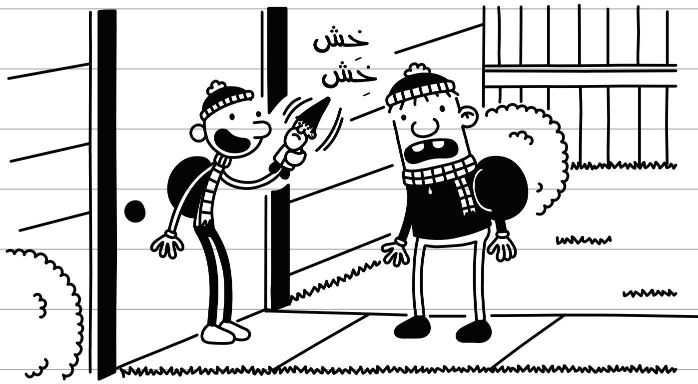
في الشتاء، ترسل لنا جدّتي صوراً لها ولصديقاتها وهنّ بملابس السباحة لتخبرنا أنّها تمضي وقتاً مسلّياً.



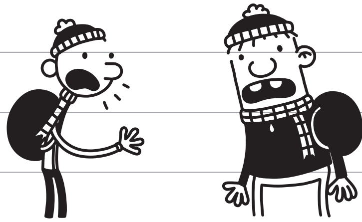
تصطحب جدّتي حيوانها الأليف سويتي معها أيضاً. وبينما أنا أتجمّد برداً هنا، يتمدّد سويتي على الشاطئ في الجنوب تحت أشعّة الشمس الدافئة.



تحتفظ جدّتي بمفتاح داخل دمية في الحديقة بجانب الباب تماماً. وهناك بالضبط وجدناه اليوم.

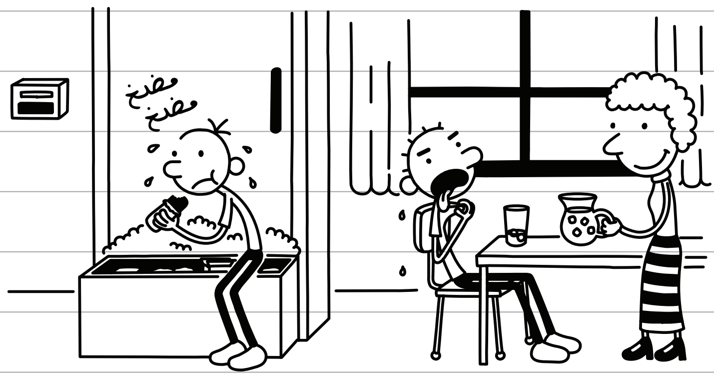


فكّرتُ في دخول منزل جدّتي لالتماس الدفء قبل أن نكمل الطريق إلى البيت. شعر راولي بالتوتّر من فكرة دخولنا من دون شخص كبير برفقتنا، لكنّني قلت له إنّ جدّتي من الأسرة، ولن تمانع إن استخدمتُ بيتها في غيابها.

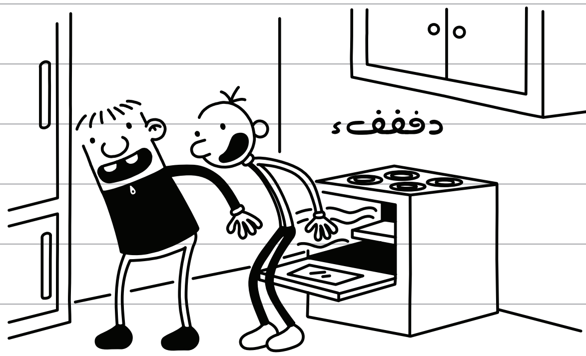


عندما دخلت، فوجئت كثيراً. كان البيت كالثلّاجة، فعرفتُ أنّ جدّتي تطفئ نظام التدفئة في الشتاء.

في العادة، تحبّ جدّتي الدفء كثيراً. فحين تكون في البيت، يكون الجوّ دافئاً إلى حدّ أنّني آكل المثلّجات وباب الثلّاجة مفتوح، وإلاّ لذابت بين يديّ.

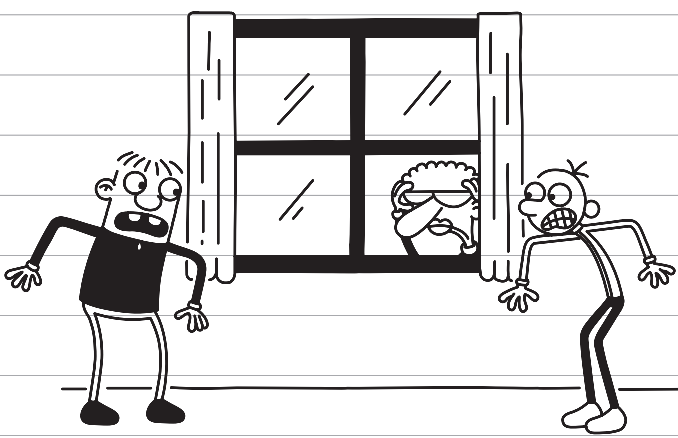


ما إن دخلتُ، حتّى شغّلت نظام التدفئة. غير أنّ مفعوله استغرق وقتاً ليظهر، لذلك أشعلتُ الفرن ودفّأنا أنفسنا بسرعة.



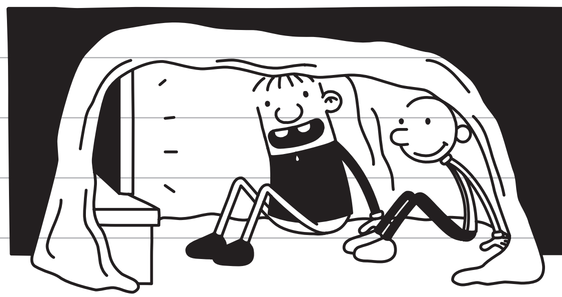
كان لدى جدّتي وجبات خفيفة في خزائن المطبخ، فأكلنا منها أنا وراولي. وبينما كنّا نأكل، لمحنا حركة خارج النافذة.

إنّها السيّدة ماك نيل، جارة جدّتي الفضولية. لا شكّ أنّها لاحظت الضوء المنبعث من البرّاد، فأتت إلى الشرفة الأمامية وهي تحاول الآن استراق النظر إلى الداخل.



اختبأنا إلى أن ذهبت السيّدة ماك نيل أخيراً. لكنّني بتُّ أعرف الآن أنّ علينا التزام الحذر. فأنا لا أريدها أن تطلب الشرطة. هكذا خفّفنا من الضجّة وذهبنا إلى غرفة المعيشة لمشاهدة التلفاز.

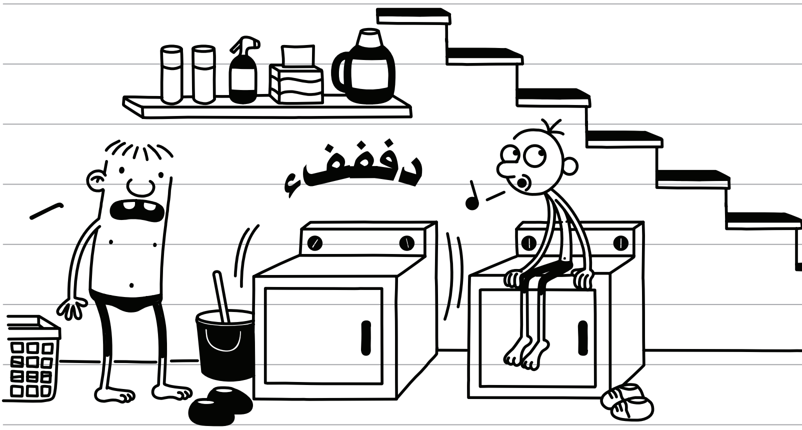
يلتقط تلفاز جدّتي جميع القنوات، ولحسن الحظّ لم تقطع اشتراكها في الشتاء. لكنّنا لم نخاطر في لفت انتباه السيّدة ماك نيل مجدّداً، لذلك وضعنا بطّانية فوقنا وفوق التلفاز ونحن نتفرّج.



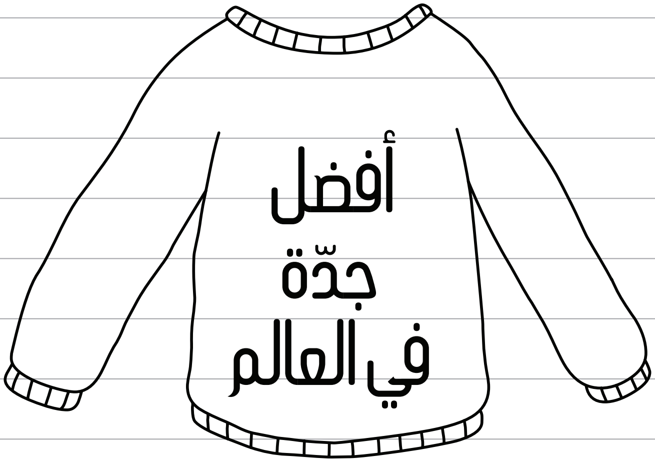
أعتقد أنّني فقدت الإحساس بالزمن، لأنّنا عندما أطفأنا التلفاز، كان الظلام قد حلّ. كان الجوّ قد أصبح دافئاً في منزل جدّتي، ولم أرغب حقّاً في الخروج من هناك إلى برد الشارع. لذلك خطرت ببالي فكرة لجعل رحلة العودة إلى البيت مريحة أكثر.

تخيّلت أنّنا إن دفّأنا ملابسنا في آلة تجفيف الملابس قبل خروجنا، فإنّها ستمنحنا قدراً من الدفء لبقيّة الرحلة. لذلك نزلنا إلى الطابق السفلي الذي يحتوي على غسّالة الملابس ووضعنا ملابسنا داخلها.

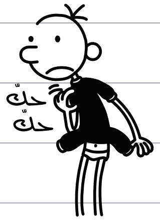
حدّدنا الوقت لمدّة ثلاثين دقيقة وانتظرنا. إلّا أنّنا لم نشعر بالارتياح من جلوسنا بملابسنا الداخلية بينما تقوم الغسّالة بعملها.



كان الطقس بارداً، لذلك بحثنا عن شيء نرتديه. وجد راولي كنزة أهديتها لجدّتي في ذكرى ميلادها، وارتداها. أمّا أنا فلم أشعر بالارتياح لارتداء ملابس جدّتي.

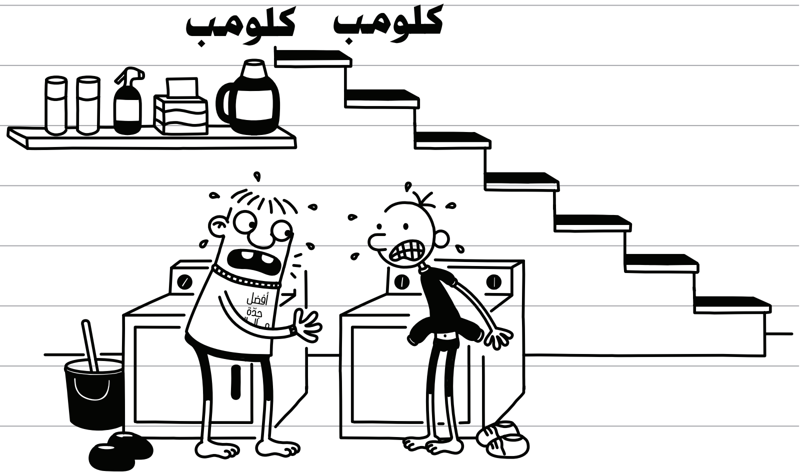


عثرت على كنزة حاكتها جدّتي لسويتي، ولاءمت مقاسي أكثر ممّا توقّعت. لكنّها سبّبت لي بعض الحكاك، ولم أعد أذكر ما إذا كان سويتي يعاني من البراغيث.



وبينما كنت أبحث عن شيء آخر لارتدائه، سمعنا ضجّة في الطابق الأعلى.

أوّل ما خطر ببالي أنّ جدّتي أعطت السيّدة ماك نيل مفتاحاً لمنزلها دخلت بواسطته الآن. لكنّ راولي قال إنّه قد يكون لصّاً عرف أنّ المنزل خالٍ. ففكّرت أنّه قد يكون على حقّ.



سمعنا مزيداً من الضجّة في الأعلى، وعندما فُتح باب القبو، أصبنا بالذعر.

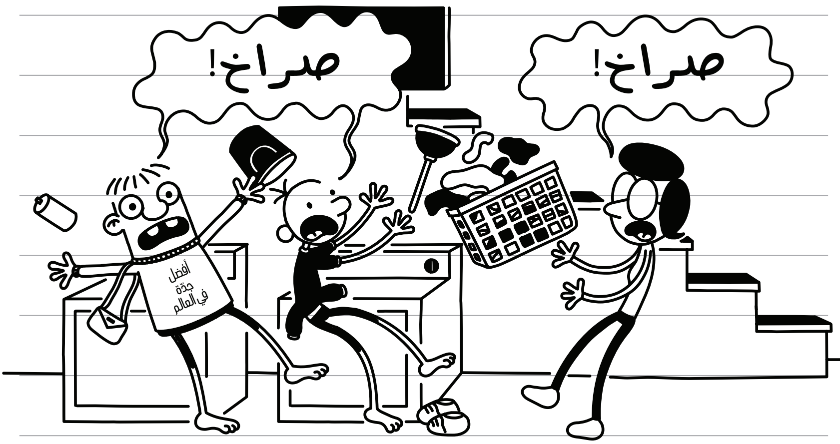
نظرت حولي بحثاً عن شيء أدافع به عن نفسي، لكنّني لم أجد سوى خضّاضة المرحاض.

حمل راولي عبوة رذاذ وإحدى حقائب جدّتي. وعندما سمعنا خطوات تهبط الدرج، تهيأنا للهجوم.



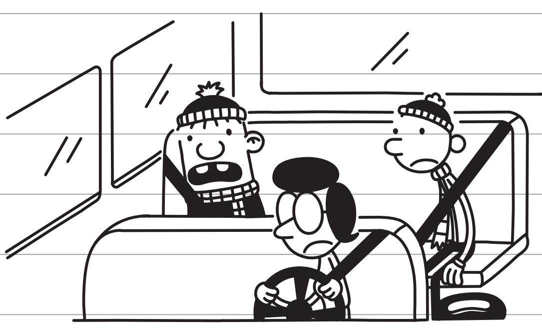
توقّفَت الخطوات عندما وصل صاحبها إلى الأسفل، وهنا تحرّكنا.

تبيّن أنّ الدخيل لم يكن، لا السيّدة ماك نيل ولا لصّاً، بل أمّي.



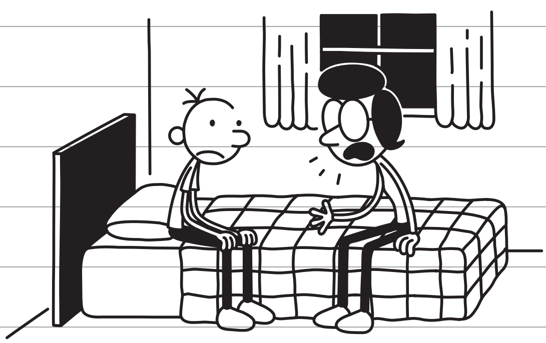
كانت قد أتت لغسل بعض الملابس لأنّ غسّالتنا في البيت معطّلة.

لم تقل أمّي الكثير. بل طلبت منّا ارتداء ملابسنا الشتوية مجدّداً والصعود إلى السيّارة. وكانت صامتة تماماً في رحلة العودة إلى حيّنا، الأمر الذي بدا لي غريباً حقّاً.



تخيّلت أنّه، ما إن ينزل راولي من السيّارة، حتّى تبدأ أمّي بتوبيخي على دخولي منزل جدّتي من دون استئذان. لكنّها لم تقل شيئاً، ولم تذكر الأمر أمام أبي خلال العشاء أيضاً.

بعدما انتهينا أنا ورودريك من غسل الأطباق، قالت أمّي إنّها تريد التحدّث معي في غرفتي. هناك، أخبرتني أنّه من «الطبيعي تماماً» للأولاد في سنّي أن يتخيّلوا أنّهم كبار وأنّ لا شيء يدعو للخجل. ثمّ أضافت أنّها مسرورة لأنّنا أنا وراولي كنّا نستعمل خيالنا عوضاً عن ألعاب الفيديو.

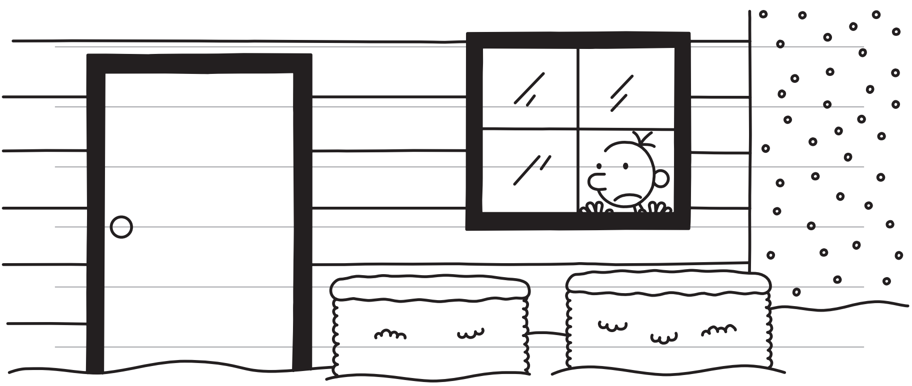


لم أفهم ماذا ظنّت أمّي أنّنا كنّا نفعل في قبو جدّتي. لكني، بصراحة، تمنّيت لو أنّها عاقبتني بدلاً من ذلك.

فبراير

الأربعاء

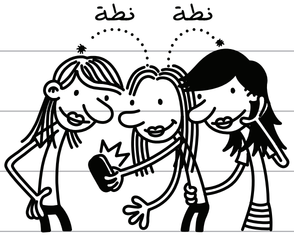
كان الثلج يتساقط طوال الأيّام الماضية، وفي الليلة الفائتة ازداد ارتفاعه إنشاً ونصف. مع الأسف، لم يكن ذلك كافياً لإغلاق المدرسة. وحتّى لو أثلجت أكثر، لا أظنّ أنّهم كانوا ليمنحونا يوم عطلة.



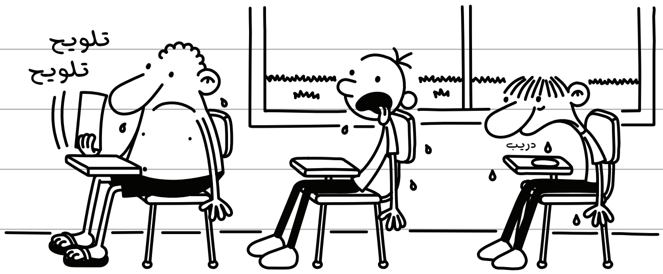
لدينا عدد محدّد من أيّام العطلة بسبب الثلوج كلّ عام. وإن استهلكناها كلّها، سيعوّضنا عنها في عطلة الصيف. وقد سبق أن عطّلنا معظمها هذا الشتاء، على الرغم من أنّ بعضها لم يكن بسبب الثلوج.

ففي ديسمبر، أقفلت المدرسة بسبب انتشار القمل.

ما حدث أنّ ليلي بودنر أتت إلى المدرسة حاملة قملاً في شعرها، وربما من دون أن تعرف. فانتشر القمل منها وهي تلتقط عدداً من الصور مع صديقاتها.



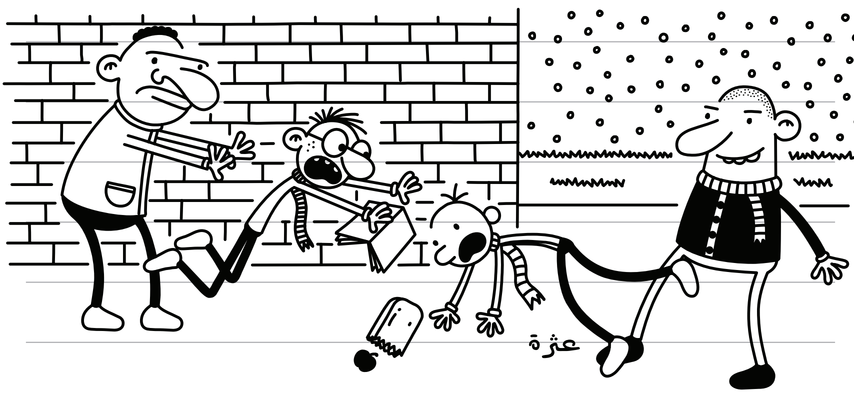
وبالتالي، إن كنّا سنجلس في الصفّ في حرّ تمّوز الخانق، فسيكون الذنبُ ذنبَ ليلي وصورها.



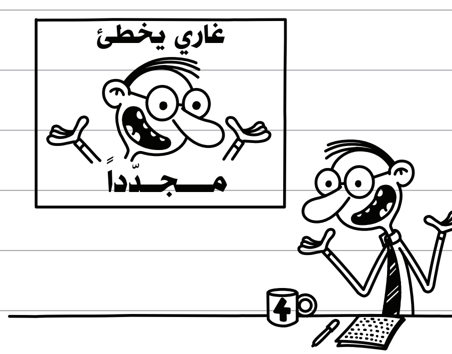
في بعض الأحيان، عندما تثلج في الصباح، يمنحوننا نصف يوم عطلة. لكنّني لست من هواة ذلك، لأنّنا نضطرّ إلى قطع كلّ تلك المسافة من أجل بضع ساعات في المدرسة.

والمزعج حقّاً عندما تتابع إدارة المدرسة توقّعات الطقس وتقرّر مسبقاً أنّنا سنداوم في اليوم التالي نصف دوام.

في هذه الحالة يبقى البرنامج نفسه، لكنّنا نتعلّم نصف حصّة في كلّ مادّة. وهذا ينطبق على الاحتجاز أيضاً. وكلّ المشاغبين في المدرسة يعلمون أنّهم إن ارتكبوا حماقة في اليوم السابق، فإنّهم سينالون نصف العقاب.



في بعض الأحيان، يتمّ تعليق اليوم الدراسي لأنّه من المفترض أن تثلج، ولا تتساقط الثلوج. هذا لأنّ المدرسة تعتمد على توقّعات مذيع الطقس في القناة المحلّية، وهو يخطئ في 50% من الوقت على الأقلّ.



ليلة الميلاد، قال إنّ طقس اليوم التالي سيكون طقس «قمصان قطنية وسراويل قصيرة»، لكنّ ارتفاع الثلوج بلغ ثلاثة إنشات. وعندما رآه الناس في السوبرماركت، عبّروا له عن استيائهم.



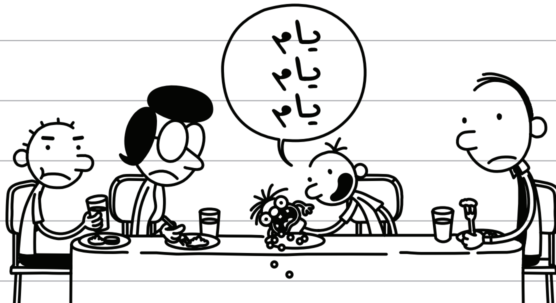
بصراحة، لا أعرف لماذا لم يُطرد هذا الشابّ من عمله بعد. لكني أظنّ أنّه ما دام أناس مثل أبي وأمّي يشاهدونه كلّ ليلة، فهو باقٍ.



أضعتُ أحد قفّازَيّ هذا الصباح، ورحتُ أبحث عن بديل. كان الوقت قد تأخّر، لذلك لم أجد شيئاً أفضل من دمية اشترتها أمّي في محاولة لجعلي آكل طعاماً صحّياً عندما كنت أصغر سنّاً.



لا بدّ أنّ أمّي اعتقدت أنّني سأحبّ الخضار إن كان السيّد آكول يحبّها. غير أنّني كنت أجعل السيّد آكول يتناول خضاري. وعندما عثرت عليه اليوم في الخزانة، كان على وجهه بقع من البازيلاء التي كنت أرفض لمسها وأنا في الصفّ الثاني.



أعرف أنّ استعمال دمية كقفّاز شيء سخيف، لذلك حاولت دسّها في جيب معطفي معظم الوقت في الطريق إلى المدرسة.

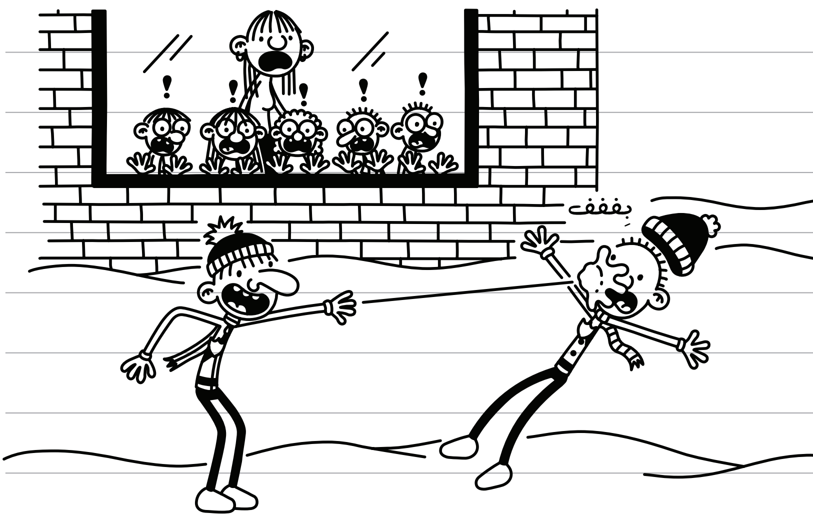
لكن عندما مرّت نانسي درانش بسيارة والدها، نسيتُ تماماً أنّ السيّد أكول ما زال بيدي.



بالحديث عن الفتيات، طرأ تغيير كبير على دوريات الأمن في الأسابيع القليلة الماضية.

إذ كانت الدوريات تضمّ عدد كبيراً من الصبيان، لكنّ معظمهم ترك أو طُرد قبل بدء العام الجديد.

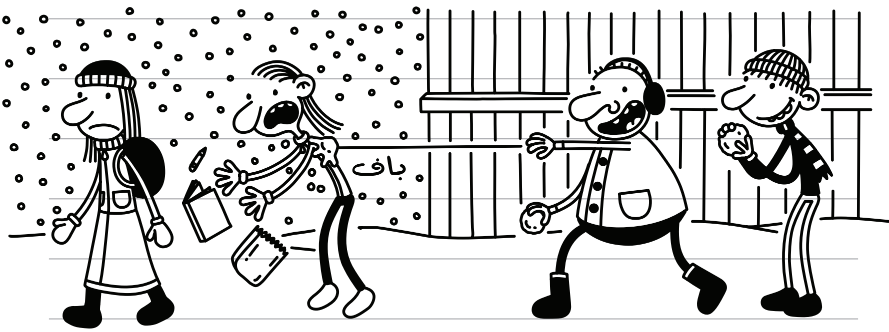
كان إريك رينولدز ودودجي فينش آخر ولدين في الدوريات، وكان كلاهما رئيساً. غير أنّ انتسابهما أُلغي في أوّل أسبوع من يناير عندما تعاركا بكرات الثلج أمام صفّ الروضات في المدرسة الابتدائية.



هكذا أصبحت دوريات الأمن الآن مؤلّفة 100% من الفتيات. وأنا واثق أنّهنّ كنّ يخطّطن للانقلاب منذ مدّة.

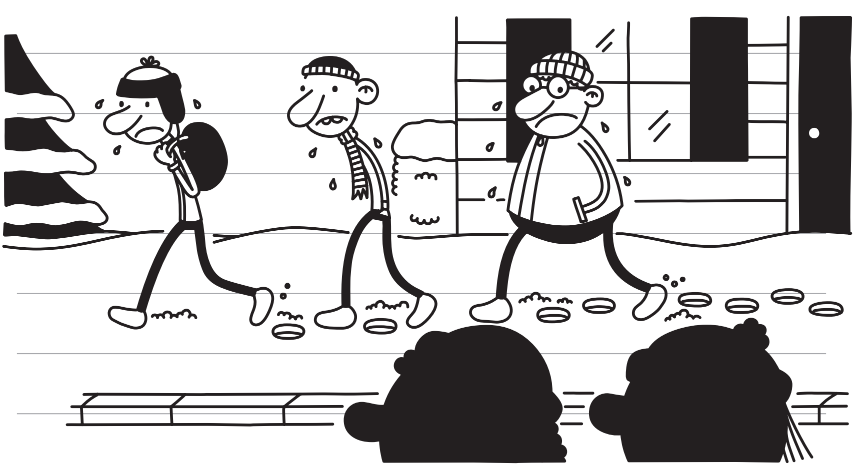
السبب أنّ فتيان مدرستي يكونون أوغاداً حقّاً في بعض الأحيان. وعندما تتساقط الثلوج، يصبحون بغيضين جدّاً.

وأنا واثق أنّ الفتيات سئمن منهم بعد مدّة، ولهذا قرّرن الحلول مكانهم.

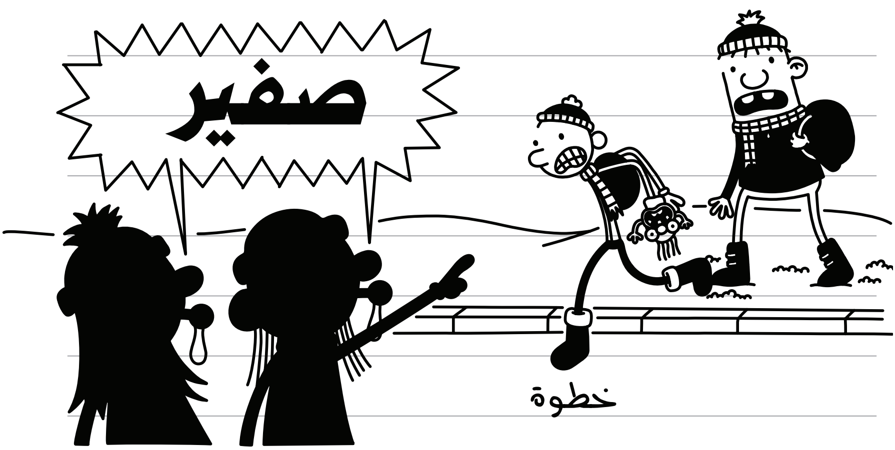


والآن بعدما أصبحت الفتيات في السلطة، لم يعد الصبيان يسيئون التصرّف. فإن رمى أحدنا كرة ثلج واحدة، تبلّغ عنه دوريات الأمن المدير، ويتعرّض للطرد مباشرة.

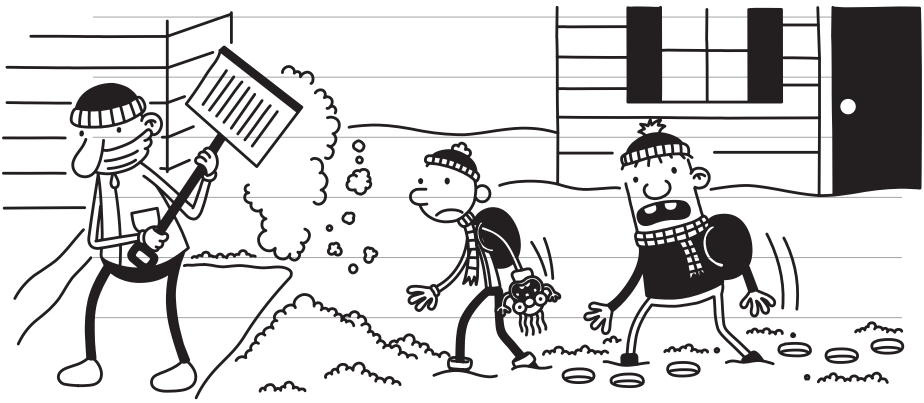
لذلك أصبحت الفتيات يتمنّين أن تزلّ قدم أحدنا نحن الفتيان.



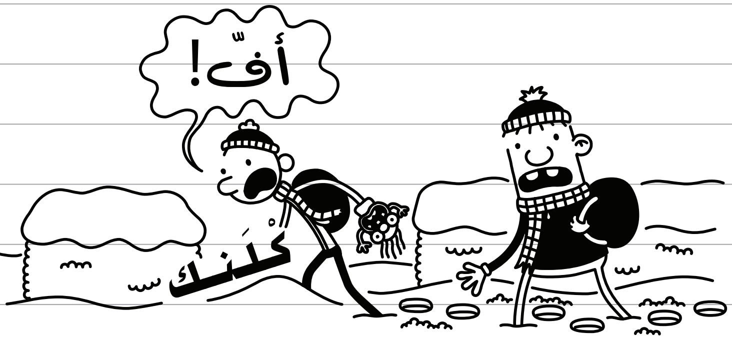
اليوم، كان الطريق خالياً من الثلوج، على عكس الرصيف. في هذه الحالة، نسير عادة أنا وراولي على الطريق. لكنّ فتيات دوريات الأمن الجديدة هذه شديدات التمسّك بالقوانين، ولا يسمحن لنا بالسير في الشارع، مع أنّهنّ يفعلن ذلك.



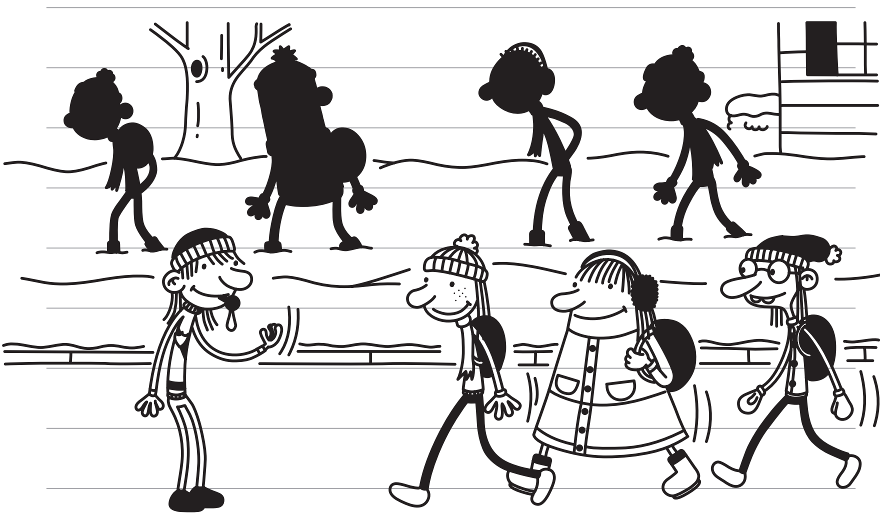
لكن من المستحيل تقريباً السير على الرصيف إن لم تتمّ إزالة الثلوج عنه، لا سيّما إن كان الناس يزيلون الثلوج من مداخل منازلهم.



في الحقيقة، من الصعب معرفة مكان الرصيف. فهذا الصباح، كدتُ أصدم ركبتي بصنبور الإطفاء المدفون تحت الثلوج.



المزعج حقّاً في الأمر أنّ دوريات الأمن تجبرنا نحن الصبيان على السير على الرصيف، وتسمح لجميع الفتيات بالسير على الطريق.



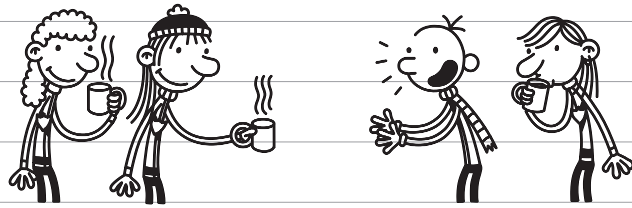
عندما وصلنا أنا وراولي إلى المدرسة اليوم، كنّا منهكَين تماماً من الرحلة. أمّا فتيات صفّنا فكنّ بكامل نشاطهنّ. وفي حال أصبحت إحداهنّ رئيسة للجمهورية في المستقبل، فهذا لأنّها استفادت من التمييز غير العادل في المدرسة المتوسّطة.



أنا لا ألوم حقّاً دوريات الأمن على طريقة معاملتها لفتيات صفّي. فمعظم الصبيان أنذال، وهم يشوّهون صورة الأولاد المتمدّنين أمثالي.

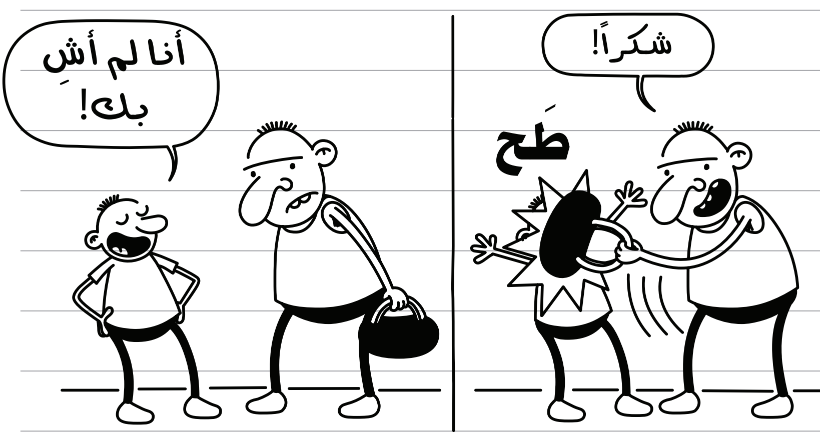
لكن مع هذا الوضع الجديد، بدأتُ أفكّر بطريقة لأفصل نفسي عن أولئك الحمقى.

إن استطعتُ العمل لصالح فتيات دوريـات الأمن، سأكون في صفّهنّ. وإن أبلغتهنّ عن المشاغبين، سيصبحن مدينات لي.



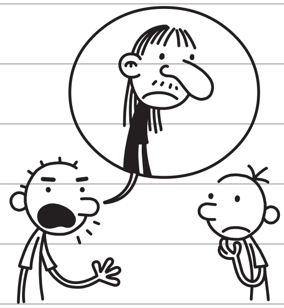
لسبب مـا، الوشاية مكروهة جـدّاً في مدرستي. فعندما يخبر أحدنا عن ولد ارتكب خطأ، يقول عنه الجميع إنّه واشٍ، وهذا الذنب لا يُغتفر بسهولة.

إنّ الأشخاص الوحيدين المستفيدين من سياسة «عدم الوشاية» هذه هم المتنمّرون. وأنا واثق أنّهم هم من ابتكروا الفكرة في المقام الأوّل.



أنا لا أرى أيّ مشكلة في الوشاية. وكما يبدو، بإمكان المرء جني المال منها.

فقد أخبرني رودريك عن شابّ في مدرسته الثانوية تبيّن أنّه «مُخبر». إذ تظاهر الشابّ أنّه تلميذ ثانوي، في حين أنّه في الواقع شرطي متنكّر.



حسناً، أنا أعرف الآن ماذا ستكون وظيفتي بعد التخرّج. إذا استطعت أن أتقاضى المال مقابل الذهاب إلى المدرسة والإيقاع بالمشاغبين، فإنّني سأستمتع كثيراً.

هناك طالب جديد يدعى شاين براونينغ، أتى إلى مدرستنا في منتصف العام ويبدو أكبر منّا بكثير. وقد بدأت أتساءل ما إذا كان مخبراً.

لذلك، رحت أعطيه تقارير سرّية عن زملائي، من باب الاحتياط.



في أيّ حال، أنا أتطلّع لعودة الأمور إلى طبيعتها، لأنّ الثلوج تسبّب كثيراً من المشاكل. فخلال الأيّام القليلة الماضية، كان الأولاد ينتعلون أحذيتهم الطويلة في المدرسة، وآثار الثلوج تملأ الأروقة.

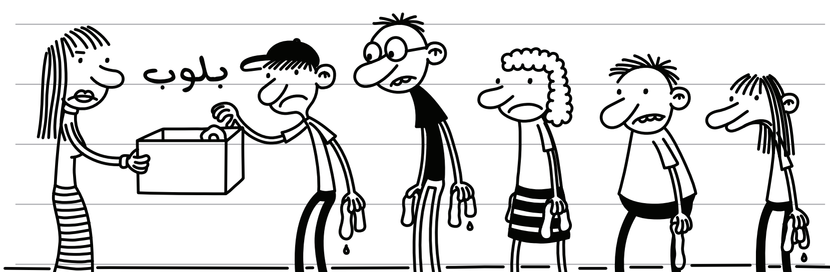
لهذا السبب، طلب المعلّمون اليوم من الجميع خلع أحذيتهم عند مدخل المدرسة. لكنّ الثلوج العالقة فيها ذابت وشكّلت بركة كبيرة.



مشى الأولاد في البركة في طريقهم إلى الصفوف، ولم تلبث جواربهم أن ابتلّت. ثمّ تصاعدت الأمور تدريجيّاً، وبحلول الحصّة الثالثة عمّت الفوضى الأروقة.



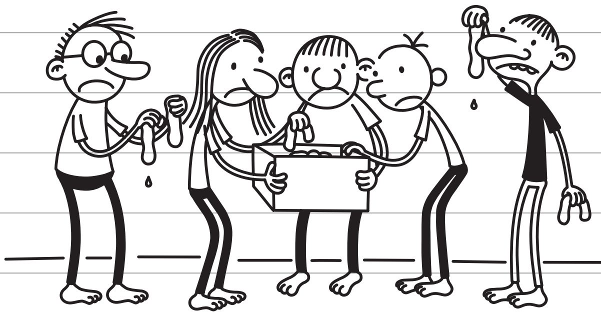
حين تفاقم الوضع، اضطرّ الأساتذة إلى أخذ جواربنا والاحتفاظ بها في مكتب الاستقبال.



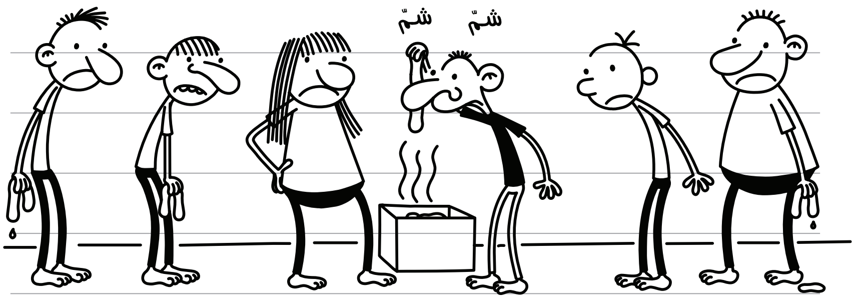
لكنّ ذلك سبّب مشكلة في الصفوف.



عند انتهاء اليوم الدراسي، ذهبنا جميعاً إلى مكتب الاستقبال لأخذ جواربنا. لكنّها كانت متشابهة بمعظمها، فلم يتعرف أحد إلى جورب.



لحسن الحظّ، يتمتّع جايك ماكغوف بحاسّة شمّ ممتازة مكّنته من توزيع الجوارب على أصحابها.



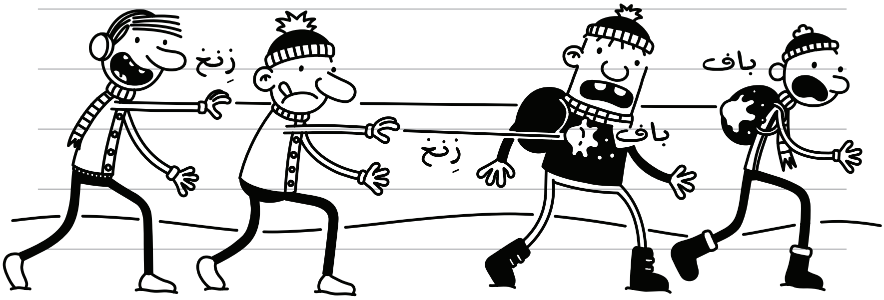
حتّى إنّـه أعطى لكلّ من التوأمين غـارزا جوربه الصحيح، ولا بدّ لي من الاعتراف أنّه أبهرني.



فرِحتُ لأنّ الطقس كان أكثر دفئاً في طريق العودة إلى البيت اليوم، ذلك أنّ خيار التوقّف في بيت جدّتي أنا وراولي لم يعد مطروحاً. لكنّ هذا لا يعني أنّ رحلة العودة كانت سهلة.

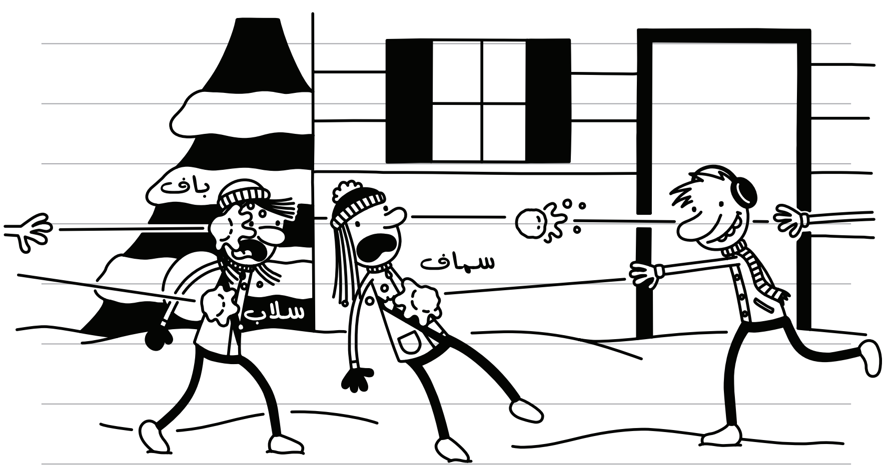
لم يكن مسموحاً رمي كرات الثلج في الطريق من البيت إلى المدرسة. أمّا بعد العودة إلى البيت، فبإمكاننا أن نفعل ما نشاء.

هكذا، فكّر الأولاد الذين يسكنون قريباً من المدرسة أنّهم إن وضعوا حقائبهم في منازلهم، فهذا يُعتبر أنّهم عادوا إلى البيت. بعد ذلك يطاردون الأولاد، مثلنا أنا وراولي، الذين ما زال طريق عودتهم طويلاً.

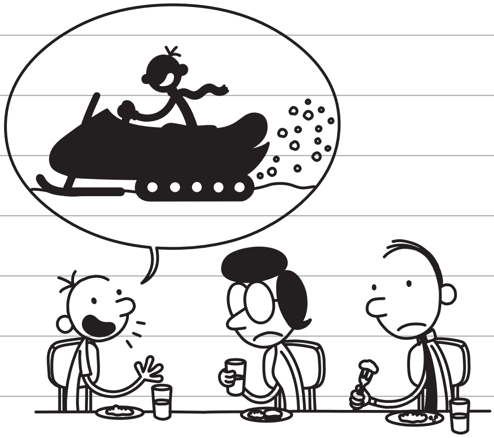


تقع دوريات الأمن في الفخّ هي الأخرى. لكن هذه هي القوانين، وليس بالإمكان فعل شيء حيالها.

ويتعرّض عناصرها للهجوم من الجانبين. فبعض أولاد تلّتي الذين يعودون إلى البيت بالسيّارة يرجعون سيراً على الأقدام نصف الطريق فقط للقيام بذلك.



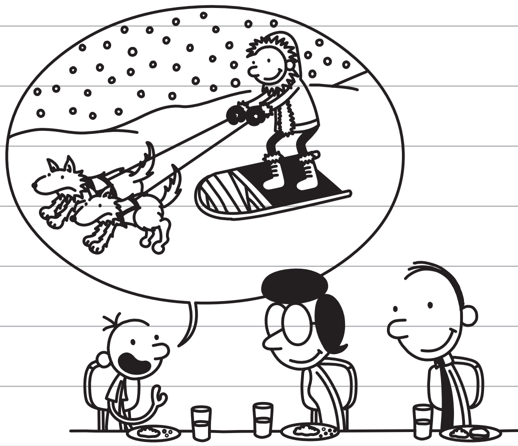
لست متحمّساً حقّاً ليوم غد، لأنّه من المفترض أن تثلج بضعة إنشات بعد. فقلت لوالديّ إنّني أدّخر المال لشراء درّاجة ثلجية، وهكذا تكون الرحلة إلى المدرسة أقلّ مشقّة.



لكنّ أمّي وأبي بدآ يذكران جميع الأسباب التي تمنع ابن المرحلة المتوسّطة من قيادة درّاجة ثلجية، فوافقتهما على مضض.

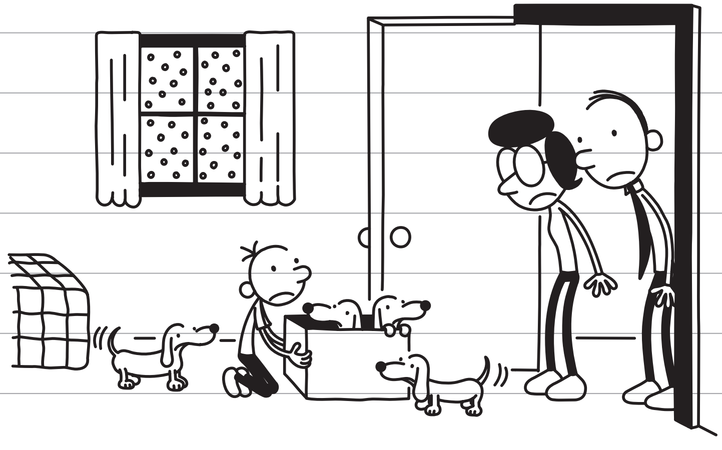
كلّما أتيت بفكرة جيّدة، يحبطها والداي. وهذا ما فعلاه تماماً بفكرة زلّاقة الكلاب في الشتاء الفائت.

فقد خطر ببالي شراء بضعة كلاب وتدريبها لقيادة زلّاقة، وهكذا أصلُ بسرعة إلى المدرسة كلّ صباح.



وأعتقد أنّ والديّ ظنّا أنّني أمزح لأنّهما مدحا فكرتي.

وعندما اشتريت بالمال الذي جمعته في الميلاد عدداً من الكلاب الصغيرة من سيّدة في الشارع، أجبراني على إعادتها كلّها.

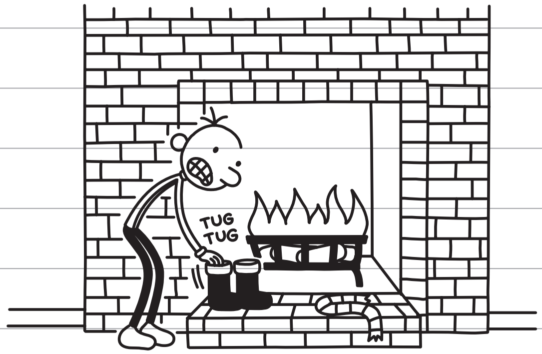


الخميس

هذا اليوم أيضاً ذكّرني لماذا لا أحبّ الشتاء.

كان يوماً مثلجاً آخر، لكنّني قرّرت هذا الصباح أن أستعدّ أكثر لأواجه البرد في طريقي إلى المدرسة. كان أبي قد أشعل الموقد قبل خروجه إلى العمل، ففكّرت في استعماله لتدفئة معطفي وحذائي.

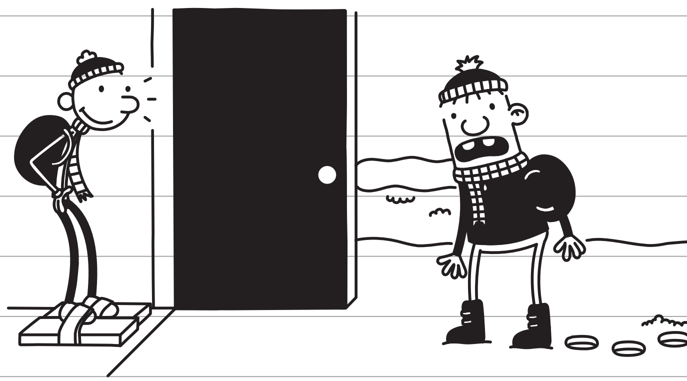
إلّا أنّني وضعت حذائي قريباً جدّاً من النار، فذاب النعل المطّاطي والتصق بحجارة الموقد. وعندما حان وقت الخروج، لم أستطع أن أزحزحه من مكانه.



كان راولي على وشك الوصول في أيّ دقيقة لمرافقتي، لذلك رُحتُ أفكّر في شيء آخر أنتعله.

كنت أعرف أنّ دوريات الأمن لن تسمح لنا بالسير في الشارع، وهذا يعني أنّ حذائي الرياضي سيبتل إنْ مشيت به على الثلوج.

هكذا صنعت حذاء ثلجٍ بنفسي من علب البيتزا والأشرطة اللاصقة. وعندما طرق راولي الباب، كنت جاهزاً للذهاب.



لا بدّ من القول إنّ الحذاء الذي ابتكرته كان ناجحاً أكثر ممّا توقّعت. في الحقيقة، رحت أسير بسرعة حتّى إنّ راولي لم يستطع اللحاق بي.



لكن عندما وصلنا إلى أسفل شارع سوراي، فشل هذا الابتكار فشلاً ذريعاً.

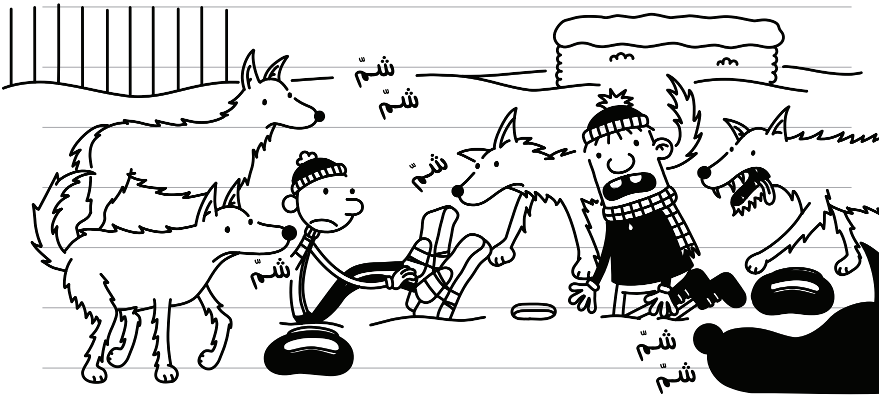
فقد ابتلّت العلب، وبدأت أغرق في الثلوج. ثمّ ساء الوضع أكثر ممّا لو كنت قد انتعلت الحذاء الرياضي، لأنّني مضطرّ الآن لجرّ العلبتين المبتلّتين معي.



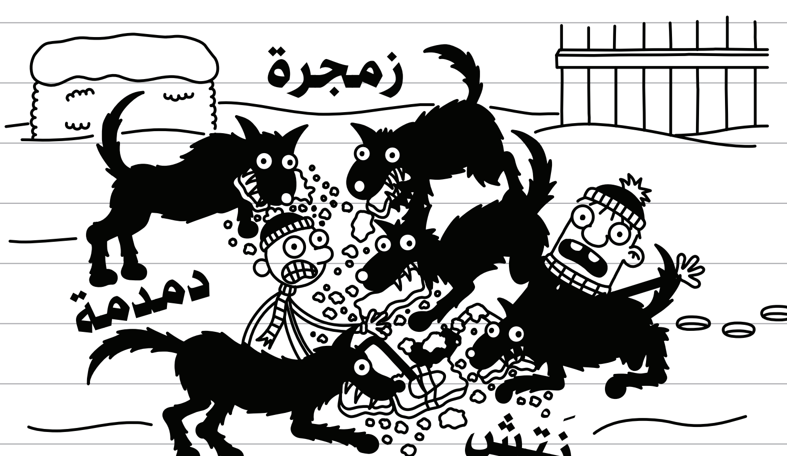
عرفت أنّ الفكرة فشلت، فطلبت من راولي مساعدتي لنزع العلبتين. لكنّ الأمر كان مستحيلاً، لأنّني ألصقتهما جيّداً.



مع الأسف، كنّا قد وصلنا إلى طرف باحة آل غوزمان، الذين يملكون حوالى أحد عشر كلباً. فثار فضول الكلاب حيال ما نفعله، وهذا ما زاد الأمور صعوبة.

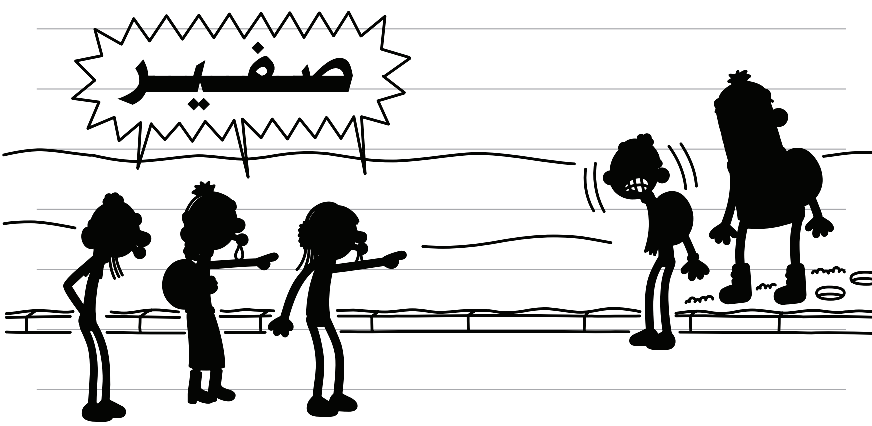


وما لبثَتِ الكلاب أن استشرست وبدأت تتشاجر على علبتَي البيتزا. عندئذٍ تذكّرت وجود بضع شرائح من البيتزا من بقايا عشاء أمس.



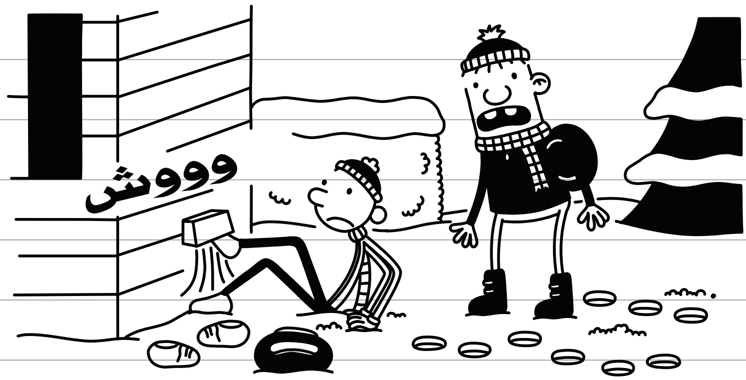
مضغت الكلاب علبتَي البيتزا، ولحسن حظّي، لم تلتهم قدمَيّ. فخرجنا من هناك بأسرع ما يمكن، لكنّ حذائي بدأ يبتلّ بالثلوج.

غير أنّني ما إن خطوت على الطريق، حتّى انطلقت صفّارات دوريات الأمن. فاضطررت إلى ابتلاع غضبي والسير على الرصيف.

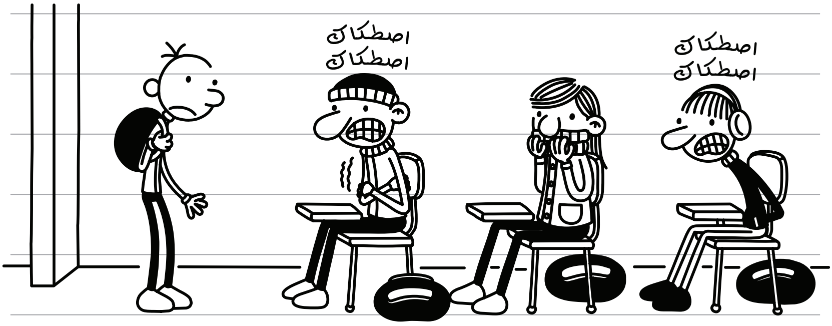


لم يلبث البرد أن بدأ يتسلّل إلى أطرافي. فخشيتُ أن أخسر أصابع قدميّ إن لم أتمكّن من تدفئتها سريعاً. غير أنّ الطريق إلى المدرسة ما زال طويلاً، وقد بدأت أفقد الأمل.

رحنا نتوقّف بعد كلّ بضعة منازل، وأدسّ قدميّ في فتحة آلة تجفيف الملابس حتّى يعود الإحساس إلى قدميّ أو حتّى يتمّ طردنا.

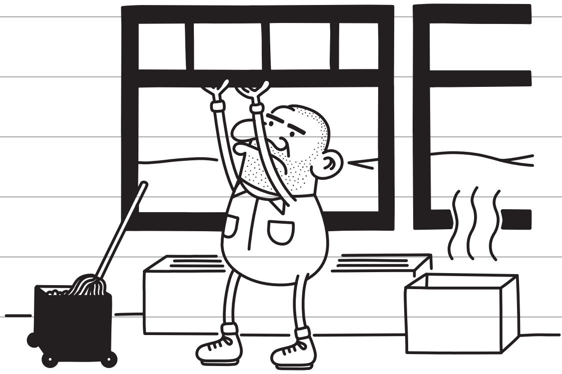


أخيراً وصلنا إلى المدرسة. لكنّني استغرقت لحظات لأدرك أنّ الجوّ في الداخل لم يكن أقلّ برودة منه في الخارج.



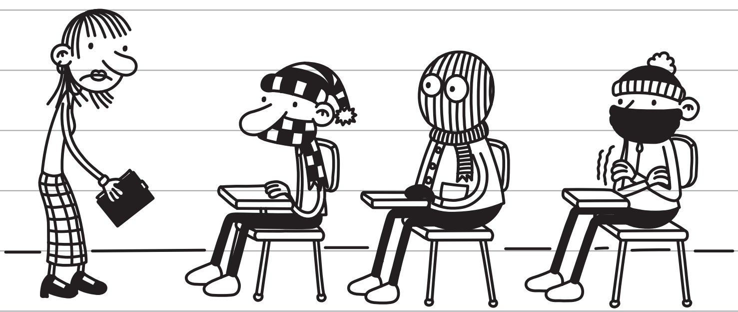
يبدو أنّ رائحة الجوارب من يوم أمس كانت قوية، ولم يستطع الحارس الليلي تحمّلها.

وهكذا، فتح كلّ النوافذ ليسمح بمرور بعض الهواء المنعش.

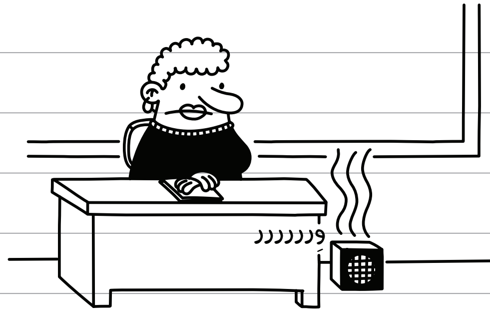


غير أنّه نسي على ما يبدو إغلاق النوافذ عند انتهاء مناوبته. ولم يستطع نظام التدفئة العمل في ظلّ هذا الوضع، فانطفأ. هذا يعني أنّنا سنمضي يوماً كاملاً في المدرسة من دون تدفئة.

في البداية، سمح لنا الأساتذة بارتداء معاطفنا في الصفّ. لكنني أعتقد أنّ الوضع بدا لهم غريباً، فبدّلوا رأيهم وطلبوا منّا وضع معاطفنا في الخزائن.

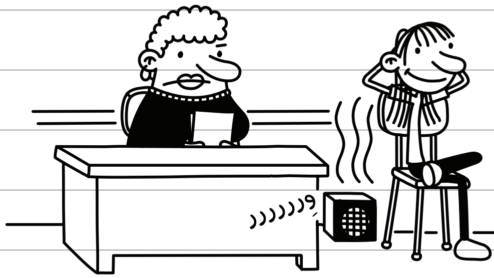


كدنا أن نتجمّد في حصّة التاريخ، لكنّ المعلّمة كانت على خير ما يرام. فالسيّدة ليلي تحتفظ بمدفأة تحت مكتبها، وتشغّلها بالطاقة القصوى.



في وسط الحصّة، وقعت فتاة تدعى ميمي كوسغروف عن مقعدها وراحت تصيح، وبدت الحادثة عادية.

وعقاباً لها، أجلستها السيّدة ليلي على كرسيّ بجانب مكتبها. واستغرقنا بضع لحظات لندرك حقيقة اللعبة.



لكنّ أولاد المدرسة المتوسّطة أذكياء، ولم تكد أن تمرّ ثلاثون ثانية، حتّى بدأ الجميع يحاولون الحصول على مقعد بجانب السيّدة ليلي.



لم يوفّر والتلاميذ جهداً بقيّة اليوم لالتماس شيء من الدفء. وكان بعضهم مبدعين في ذلك.

أقيمت مسرحية في المدرسة منذ بضعة أسابيع، فخطر في بال أحدهم فكرة لامعة، إذ قام بارتداء إحدى البدلات الموضوعة خلف الكواليس.



بينما كنّا نتجمّد في الداخل، راح الثلج يتراكم في الخارج. وبحلول الحصّة الرابعة، انتشر الذعر بيننا خشية أن نُحتجز في المدرسة طوال الليل.

عند الغداء، اشترى الأولاد كلّ ما يوجد في الكافيتيريا ليجدوا ما يأكلونه إن احتُجزنا بسبب الثلوج. وهذا ما سبّب الذعر للباقين، فهُرعوا إلى آلات البيع الموضوعة في الممرّات.



حاول الجميع الاستيلاء على كلّ ما يؤكل. وحين انتشرت شائعة بوجود طعام في مختبر العلوم، اندفعت مجموعة من الأولاد إلى هناك.

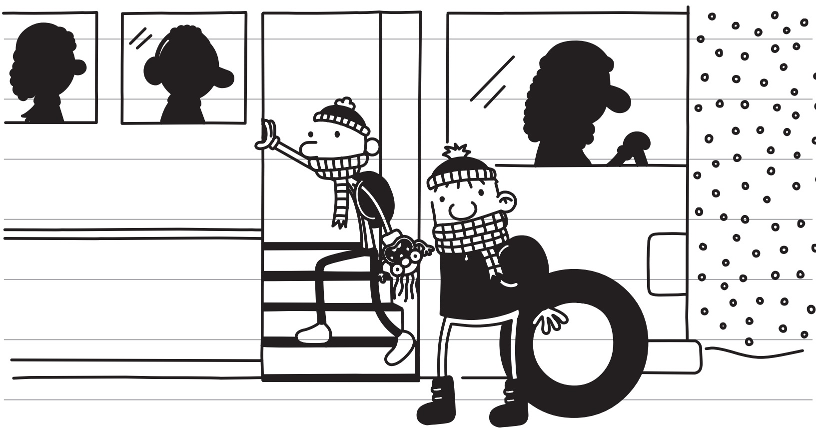
وكما سمعت، لم يُبقوا على شيء فيه.



أعتقد أنّ المديرة لاحظت أنّ أعمال شغب تلوح في الأفق، فصرفت التلاميذ باكراً.

في الواقع، كان هذا الخبر رائعاً بالنسبة إلى الأولاد الذين يعودون إلى منازلهم بالحافلة. أمّا بالنسبة إلينا نحن الأولاد المضطرّين إلى السير، فلم يكن ذلك سهلاً. لم أكن أتطلّع حقّاً للعودة إلى البيت سيراً على الأقدام في عاصفة ثلجية، لذلك خطرت ببالي فكرة. لم يكن شارع ويرلي يبعد كثيراً عن حيّنا، لذلك فكّرت في استعمال حافلتهم أنا وراولي ومتابعة بقيّة الطريق سيراً على الأقدام.

هكذا وبعدما انصرفنا، توجّهنا مباشرة إلى خطّ الحافلة. وكنّا ملثّمَين بالصوف إلى حدّ أنّ أحداً لم يلاحظ صعودنا على متنها.



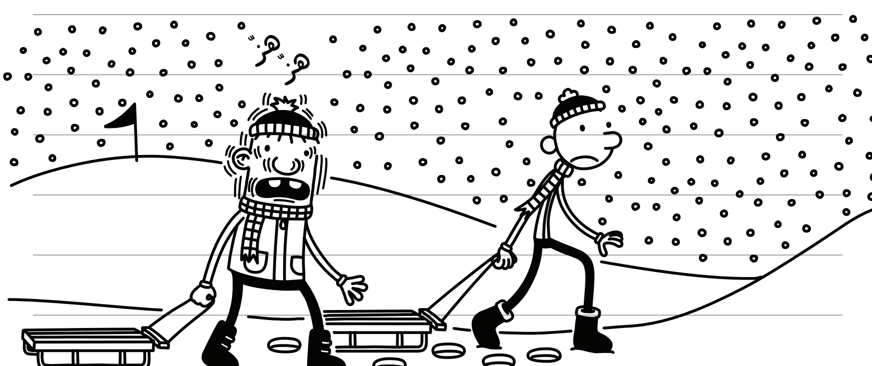
في الواقع، استغربت وجودي في الحافلة مع أولاد شارع ويرلي، لأنّ أولئك الصبيان أعداؤنا. فقد اعتادوا على التزلّج على تلّتنا كلّ شتاء إلى أن اكتشفوا الثقب الثالث عشر في ملعب الغولف.

الثقب الثالث عشر هو ثقب أسطوري، والجميع يعرفون أنّه يقع على أفضل تلّة للتزلّج في بلدتنا. لكنّ المشكلة أنّ ملعب الغولف جزء من نادي البلدة، والتزلّج هناك يُعتبر تحدّياً.

في العام الفائت، أردت أن أعرف ما كلّ هذه الجلبة المثارة حول الثقب الثالث عشر، فطلبت من راولي المجيء معي. غير أنّه كان شديد القلق من مسألة التحدّي تلك، لذلك رفض المجيء.

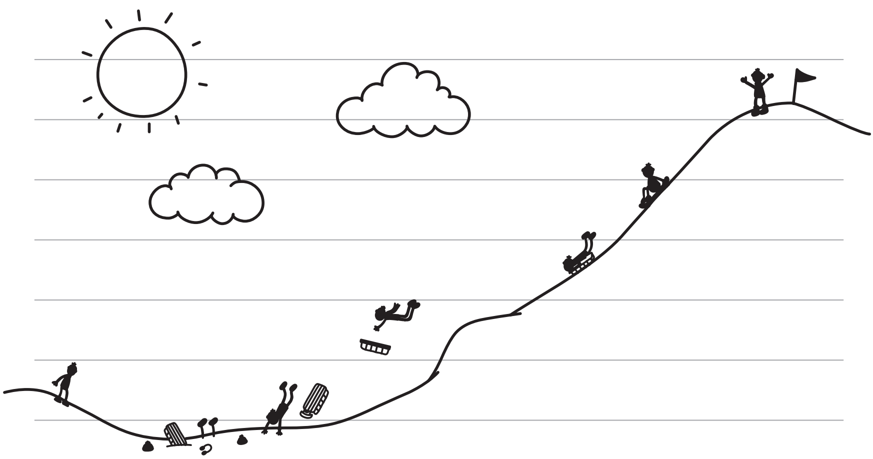
اضطررت إلى تذكير راولي أنّه هو وأسرته أعضاء في نادي البلدة، وعمليّاً لا يُعتبر دخوله ملعب الغولف تحدّياً.

وأظنّ أنّه خشي أن تخسر أسرته عضويتها إن قُبض عليه وهو يتزلّج هناك. لذلك، ولكي يموّه شكله، راح يهزّ رأسه بسرعة كبيرة، واستمرّ بذلك طوال الوقت.



لا بدّ لي من الاعتراف بأنّ الثقب الثالث عشر يستحقّ كلّ ما قيل عنه.

فقد كان شديد الانحدار، كما أنّ أحدهم صنع مطبّاً ثلجياً عند أسفله، فأخذ الأولاد يطيرون مسافة لا بأس بها.

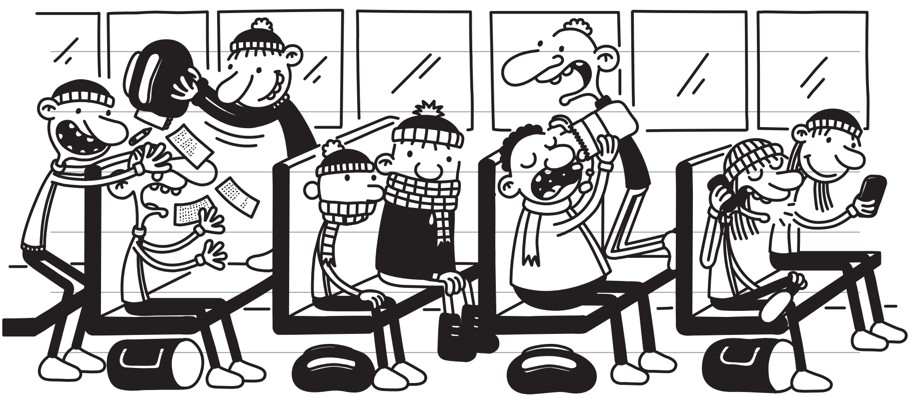


استمتعنا لمدّة من الوقت، لكن ما لبث أن أتى أولاد شارع ويرلي وطردوا الجميع، ليستحوذوا على الملعب لأنفسهم.

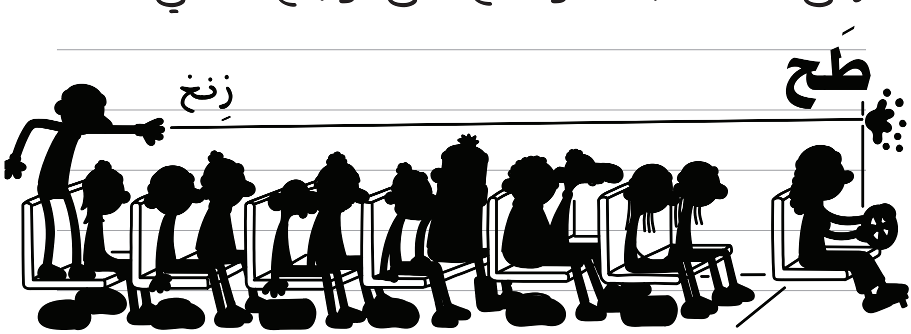


غير أنّني لم أمانع بذلك. فما دام أولئك الأولاد لا يسبّبون المشاكل في شارعنا، هنيئاً لهم ملعب الغولف بأكمله.

لم تكن الرحلة بالحافلة مع أولاد شارع ويرلي ممتعة جدّاً، لكنّنا حاولنا أنا وراولي التزام الهدوء لكي لا يلاحظنا أحد.



كنّا على شك الوصول إلى شارع ويرلي عندما ارتكب أحد الأولاد الجالسين في الخلف حماقة كبيرة. فقد رمى أحد الأغبياء كرة ثلج على الزجاج الأمامي.



على الفور، توقّفت سائقة الباص وقالت إنّها لن تستأنف القيادة حتّى يقوم الفاعل بتسليم نفسه.

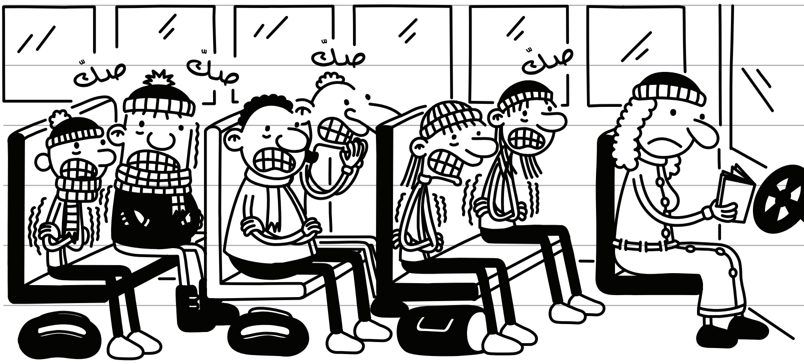


كما سبق وقلت، إن قانون «عدم الوشاية» سارٍ في المدرسة المتوسّطة، لذلك لم يتفوّه أحد من الجالسين في الخلف بكلمة. صدقاً، لو كنت أعرف الفاعل، لسلّمته فوراً.

كنت واثقاً أنّ سائقة الحافلة ليست جادّة بشأن عدم استئناف القيادة، وأنّنا سنتابع طريقنا في غضون بضع دقائق.

إلّا أنّها تناولت كتاباً، وبدأت تقرأ من الصفحة الأولى. فجلسنا هناك وانتظرنا لمدّة ساعة بينما هي تقرأ.

وأسوأ ما في الأمر أنّ السائقة أطفأت المحرّك، وتوقّفت التدفئة.

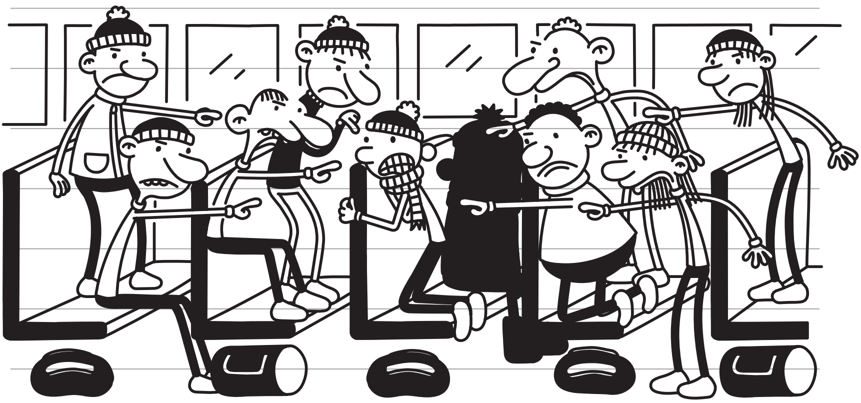


دار حديث في الجزء الخلفي من الباص، فاعتقدت أنّ بعض الأولاد يحاولون إقناع من رمى الكرة بتسليم نفسه.

وليتني لم ألتفت وأنظر، لأنّني عندما فعلت، لاحظ أحد طلّاب الصفّ الثامن أنّني لست من شارع ويرلي.



كان هذا كافياً. فقد كان أولئك الأولاد بحاجة إلى كبش فداء، وبما أنّني دخيل، لم يفكّروا مرّتين.



طلبت مني سائقة الحافلة أن أترجّل على الفور. فلم أمانع في ذلك، لأنّني بعدما كُشفت هويّتي، لم يعد يناسبني الانتظار هناك أكثر. فترجّلت من الحافلة، ولحق بي راولي.



كنت واثقاً أنّنا على مسافة ميل تقريباً من شارع سوراي. لم يكن الطريق هناك يحتوي على أرصفة، لكن لا وجود لدوريات الأمن على هذه المسافة، لذلك مشينا على الطريق.

بعد خمس دقائق، سمعنا أصواتاً غاضبة. كانت مجموعة من أولاد شارع ويرلي آتية نحونا مباشرة.



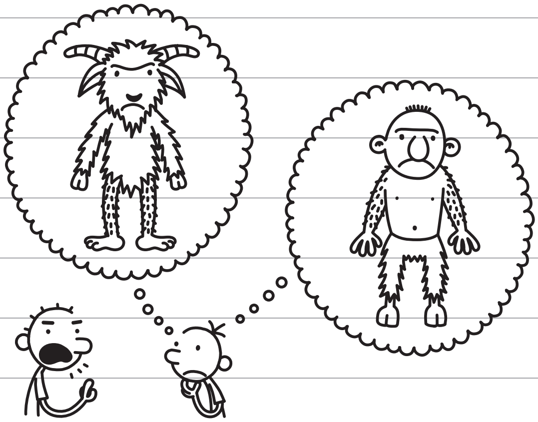
في البداية، كذب أولئك الحمقى وقالوا إنّني أنا من رمى كرة الثلج في الحافلة. ثمّ صدّقوا كذبتهم، وثاروا غضباً.

كان علينا أن نختار، أنا وراولي. إمّا مواجهة الغوغاء، أو الهرب. فقرّرنا الهرب، وكانت الغابة ملجأنا الوحيد.

صدّقوني، كان هذا آخر ما أردت فعله. فالجميع يعرفون أنّه في الغابة الواقعة على هذا الطريق يعيش الرجل المعزاة، ولهذا السبب لا أحد يذهب إلى هناك.

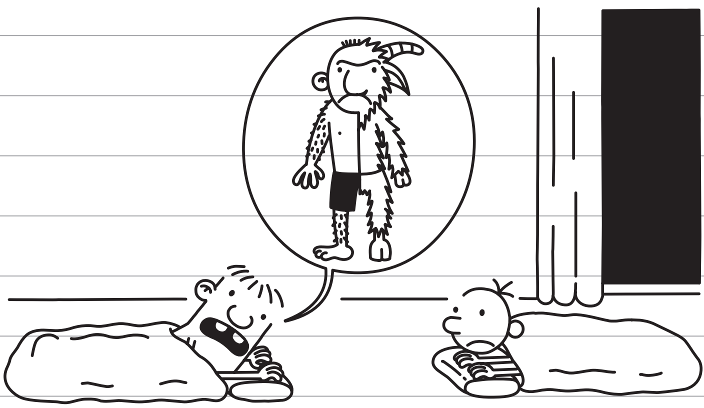
كان رودريك أوّل من أخبرني عن الرجل المعزاة، وقال إنّ نصفه بشر ونصفه معزاة.

لا أدري ما إذا كان يعني أنّ نصفه الأعلى معزاة والسفلي رَجُل أم العكس. لكن في الحالتين، بدا لي الرجل المعزاة مخيفاً.



تجادلنا أنا وراولي لسنوات حول أيّ صورة هي الصحيحة. إذ يعتقد راولي أنّ الرجل المعزاة مقسوم عمودياً.

أعتقد أنّ راولي قد يكون محقّاً، لكن برأيي تبدو هذه الفكرة سخيفة.

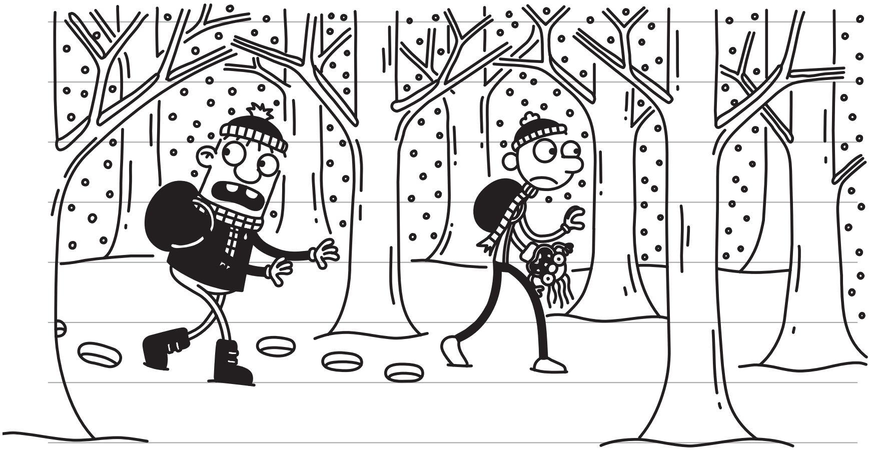


في الواقع، من الممتع الحديث عن هذه الأمور ونحن ممدّدان بأمان في أكياس النوم. لكنّنا الآن في الغابة التي يعيش فيها الرجل المعزاة، وهذه ليست مزحة.

لا بدّ أنّ أولاد شارع ويرلي سمعوا عن الرجل المعزاة هم أيضاً، لأنّهم لم يلحقوا بنا عندما دخلنا الغابة. ففكّرت في المكوث هناك فقط حتّى رحيلهم، لأنّني لم أرغب في إطالة البقاء في الغابة.

ويبدو أنّ أولئك الأوغاد عرفوا أنّنا لن نجرؤ على البقاء هناك طويلاً، إذ رأيناهم بانتظارنا على الطريق عند أطراف الغابة.

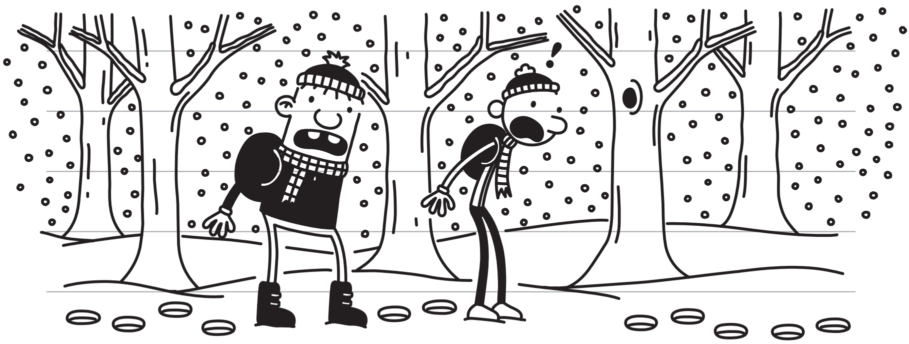
وبالتالي، كان خيارنا الوحيد هو التوغّل في الغابة، وهذا ما فعلناه.



كان الهدوء الذي يلفّ المكان غريباً. وبعد برهة، أدركت أنّنا لم نعد نسمع أصوات السيّارات على الطريق، فعرفت أنّنا توغّلنا كثيراً.

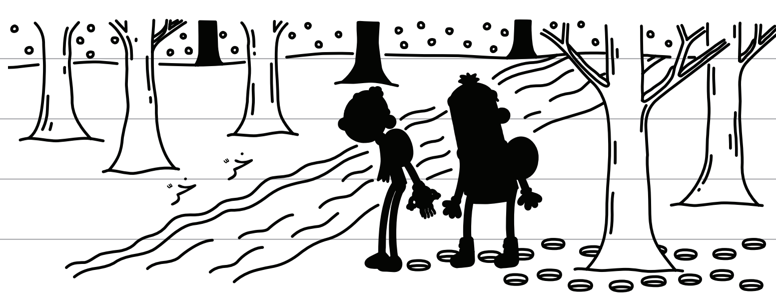
تتبّعنا أثر أقدامنا للعودة إلى الطريق، لكنّ الشمس بدأت تغيب، ولم يعد من السهل رؤية آثارنا.

حثثنا خطانا خشية أن نضيع في الغابة في الظلام.
لكن عندما رأينا آثار أقدام، تجمّدنا في مكاننا.



ظننّا في البداية أنّها آثار قدمَي الرجل المعزاة. ثمّ أدركنا أنّها لشخصين مختلفين، وأنها آثارنا نحن. وهذا يعني أنّنا أمضينا الدقائق العشر الأخيرة ونحن ندور حول أنفسنا في دائرة هائلة.

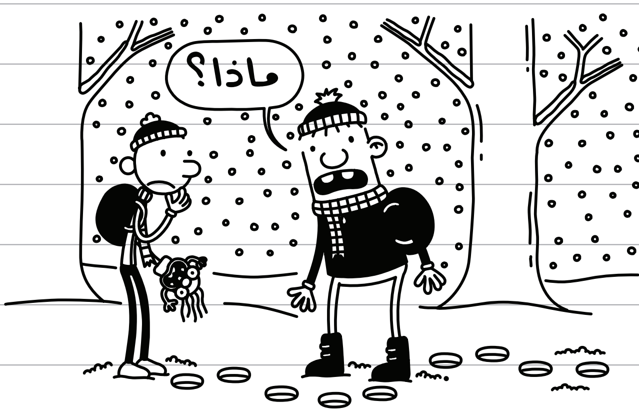
عندئذٍ استدرنا ومشينا في الاتّجاه المعاكس. فوصلنا إلى جدول، وأدركت حينئذ أنّنا ضعنا.



أصيب راولي بالذعر، أمّا أنا فلم أخف. فقد كنت أعرف أنّه إن تاه المرء في الغابة، سيكون بخير ما دام يملك الماء.

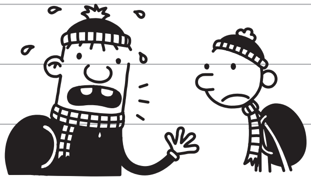
كنت قد شاهدت فيلماً عن مستكشفين تاهوا في الجبال، لكنّهم عثروا على نبع ساعدهم على البقاء على قيد الحياة.

بعد ذلك تذكّرت أنّهم عندما يئسوا من إيجاد طريقهم، اضطرّوا إلى أكل حيواناتهم. أتمنّى فقط ألّا تصل الأمور إلى هذا الحدّ معنا.



تصوّرت أنّنا إن تبعنا الجدول، فقد يقودنا إلى مكان ما، وهكذا لن نضيع مجدّداً. لكن عندما وصلنا إلى سدّ صنعه حيوان السمّور، شعر راولي بالرعب.

قال راولي إنّ حيوانات السمّور خطرة، وإنّه شاهد برنامجاً على التلفاز هاجم فيه سمّور أحد الأشخاص.



إلّا أنّ راولي أحمق. فالبرنامج الذي يتكلّم عنه كان برنامجاً كرتونياً، وكنت معه عندما شاهده.



مع ذلك، لم أستطع إقناع راولي بمتابعة السير على طول الجدول، ولذلك استدرنا مجدّداً. بحلول ذلك الوقت، كان الظلام قد خيّم بالفعل. وبعدما مشينا بضع دقائق أخرى، لفت انتباهي ضوء ساطع. فكّرت أنّه قد يكون مصباح سيّارة، فأخذنا نجري باتّجاهه.

تبيّن أنّ الضوء كان آتياً من سيّارة بالفعل، لكنّ السيّارة كانت مجرّد قطعة خردة مرميّة في وسط الغابة. وما لفت انتباهي كان انعكاس ضوء القمر على المرآة الجانبية.



عندما تعوّدت عيناي على الضوء، أدركت أنّنا محاطان بكثير من السيّارات المتروكة.



رأيت شيئاً لامعاً موضوعاً على جذع شجرة، فتناولته. كان هذا الشيء معدنياً بارداً، وعندما حملته أمام عينَيّ لألقي عليه نظرة عن كثب، عرفت ماهيّته بالضبط.

كان إبزيم حزام، وكان صاحبه ميكلي مينغو.



هذا يعني أنّنا أنا وراولي في وسط مخيّم أولاد مينغو.

لطالما تساءل أهالي بلدتي أين يعيش أولاد مينغو، وها نحن الآن أنا وراولي في وسط مقرّهم.

فكّرتُ أنّنا محظوظان لعدم وجود أحد هناك. لكن عندما استدرنا للرحيل، أمسك شيء بيدي.



في الحقيقة، أمسك السيّد أكول شيئاً. فاعتقدت أنّه ميكلي مينغو بالتأكيد، وأنّه سيقتلني لأنّني لمست إبزيم حزامه.

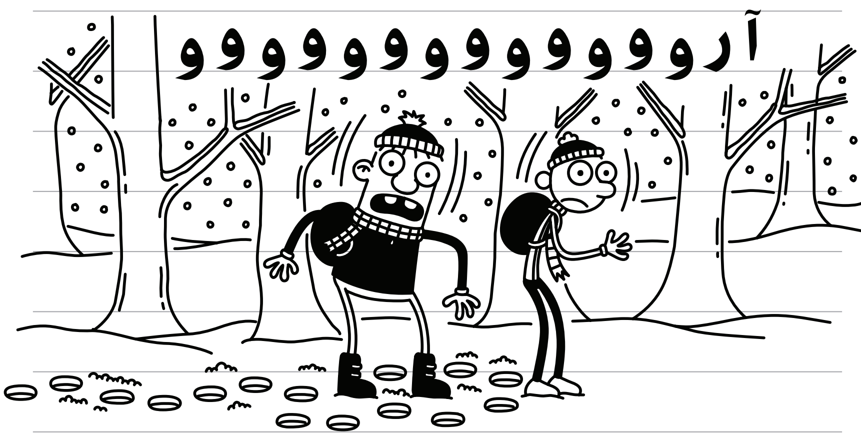
لحسن الحظّ، كنت مخطئاً. فما حدث أنّ الدمية علقت بالمرآة الجانبية، فحاولت نزعها.



عندئذٍ سمعنا أصواتاً آتية من داخل السيّارات.
فأدركت أنّه عليّ الاختيار بين إنقاذ نفسي أو إنقاذ
دمية، وكان الخيار سهلاً.



ابتعدنا أنا وراولي من هناك. لكن عندما أصبحنا
على مسافة بعيدة من مخيّم مينغو، سمعنا صوتاً
جمّد الدماء في عروقي.

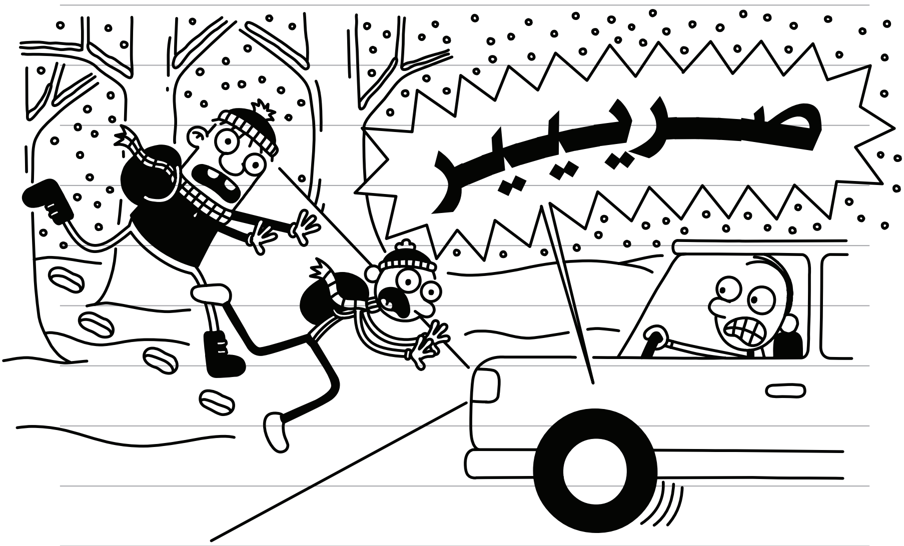


لم أعرف ما إذا كان الصوت صوتُ الرجل المعزاة أم
أنّ أحد أولاد مينغو يملك بوقاً.

كلّ ما عرفته أنّنا إن توقّفنا عن الجري، سنصبح في عداد الأموات.

سمعت صراخاً خلفنا، وكان يقترب. وحين شعرنا أنّ الأصوات أصبحت فوقنا مباشرة، خرجنا من بين الأشجار إلى الطريق المفتوح.

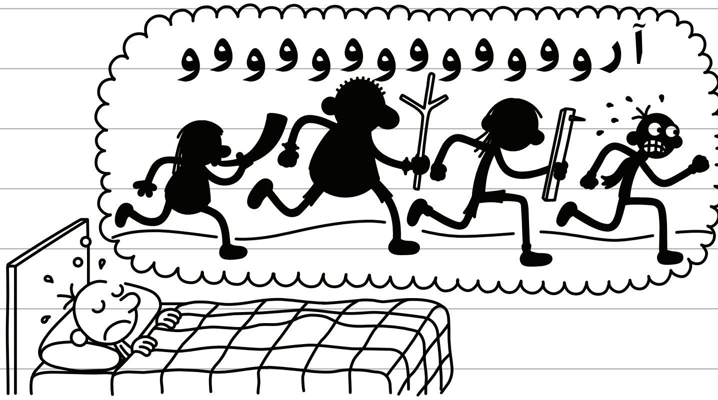
لحسن الحظّ، كان أبي يقظاً، وإلاّ لقُتلنا أنا وراولي دهساً.



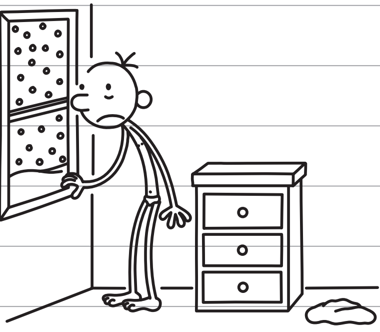
لكن على الأقلّ، كانت ميتتنا سريعة. فلو وقعنا بين أيدي أولاد مينغو، أنا واثق أنّهم كانوا سيقتلوننا على مهل.

الجمعة

عندما استيقظت هذا الصباح، كنت منهكاً تماماً. شعرت بساقيّ كالمطّاط من كثرة الجري يوم أمس، وبالكاد استرحت خلال الليل لأنّني رأيت كابوساً كان فيه أولاد مينغو يطاردونني.



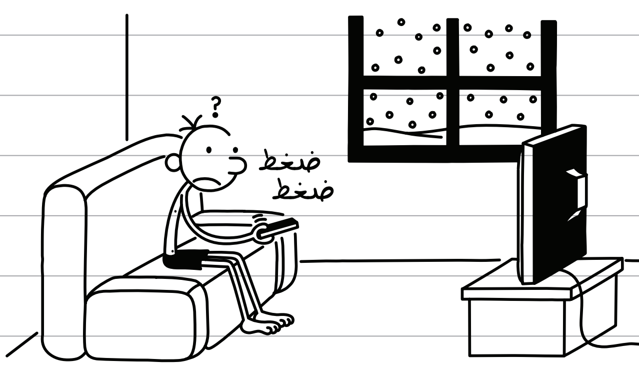
كنت سأخبر أمّي أنّني لا أستطيع الذهاب إلى المدرسة اليوم، وعندما نظرت من النافذة، أدركت أنّني لست مضطرّاً لذلك.



كان ارتفاع الثلج المتساقط ليل أمس خمسة إنشات على الأقلّ، وهذا يعني أنّ المدرسة مغلقة. فأخذتُ أتطلّع ليوم جميل من الاسترخاء التامّ.

كان والداي قد خرجا، وماني في دار الحضانة. أمّا رودريك فينام عادة حتّى الواحدة ظهراً في الأيّام المثلجة، لذلك كان المنزل بأكمله لي وحدي تقريباً.

نزلت إلى الطابق السفلي لأعدّ كوباً من رقائق الحبوب وأشغّل التلفاز. لكن كان ثمّة خطب في جهاز التحكّم عن بعد، لأنّه لا يعمل.



لاحظتُ أنّ الجهاز خفيف الوزن، ففتحت الغطاء لأرى ما إذا كان يحتوي على بطّاريات.

لم أجد أيّ بطّاريات في الداخل، بل ملاحظة من أمّي.

لكي تحصل على
بطّاريات جهاز التحكّم،
ضع الجلي في الجلّاية.

لم أرغب حقّاً في القيام بأعمال المنزل في يوم مثلج، لذلك بحثتُ في المنزل عن بطّاريات أشغّل بها جهاز التحكّم. لكن لا بدّ أنّ أمّي عرفت أنّني سأفعل ذلك لأنّني لم أجد بطّاريات احتياطية في أيّ مكان.

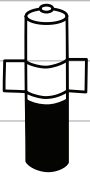


لم أفهم كيف ستعرف أمّي أنّني شغّلت الجلّاية، وهي ليست في المنزل. لكن عندما وضعت آخر طبق وأغلقت الباب، وجدتُ شيئاً ملصقاً به.



كانت بطّارية ملفوفة بورقة تحمل ملاحظة أخرى.

تهانينا!
نظّف حمّام الطابق
السفلي لتحصل على
البطّارية الثانية!

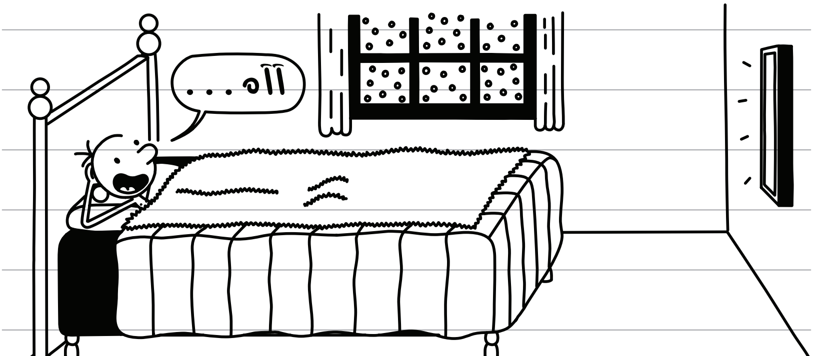


لم أشعر بالارتياح للمنحى الذي تتّخذه الأمور. فجهاز التحكّم يحتاج إلى أربع بطّاريات، وعلى هذا المنوال، سأمضي اليوم في إنجاز الأعمال المنزلية.

فجأة، أدركت أنّني لست مضطرّاً لذلك. فجهاز التحكّم في غرفة نوم أبي وأمّي رفيع جدّاً، وأنا واثق أنّه لا يحتاج سوى لبطّارية واحدة.

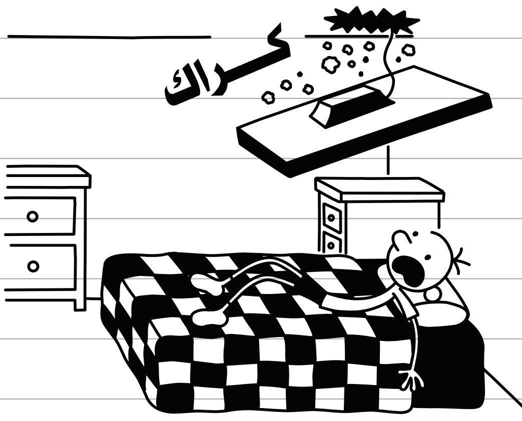
تبيّن أنّني كنت محقّاً. كنت أعرف أنّني مضطرّ لإنهاء كلّ أعمال المنزل قبل عودة أمّي وأبي إلى البيت، لكنّي تخيّلت أنّني أملك الوقت الكافي لذلك، وأستحقّ الاستمتاع لبعض الوقت. هكذا تمدّدت في سريرهما بكلّ ارتياح وشغّلت التلفاز.

في العادة، لا أشعر بالارتياح في سريرهما، لكنّني قرّرت أن أقوم بشيء غير عادي اليوم، لا سيّما عندما أدركت أنّ بطّانيتهما كانت تلك التي أهدتنا إيّاها العمّة دوروثي في الميلاد.



كانت مشاهدة التلفاز في السرير رائعة، وإن لبعض الوقت على الأقلّ. فقد كنت مرتاحاً خلال الساعتين الأوليَين، لكن بعد ذلك، بدأ عنقي يؤلمني من التمدّد بتلك الوضعيّة.

سبق وقرّرت، عندما أحصل على منزل خاصّ بي، أن أعلّق التلفاز في السقف لكي أنظر إلى الأعلى مباشرة. غير أنّني سأحرص على إحضار شخص يجيد تركيب التلفزيونات، لأنّني لا أريد أن أواجه مصير ستانلي المسطّح.

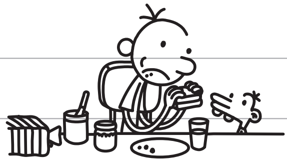


لا بدّ أنّني غفوت لبرهة، لأنّني أجفلت عندما رنّ الهاتف. كانت أمّي، التي تتّصل على الأرجح للتحقّق من أنّني أنهيت الأعمال الموكلة إليّ.

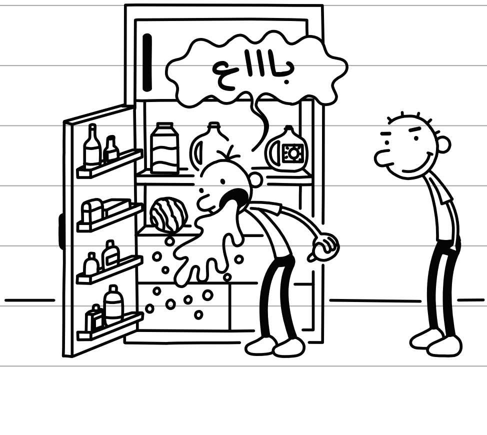
غير أنها اتّصلت لتخبرني أنّها لم تستطع الوصول إلى البيت في الوقت المناسب لإحضار ماني من دار الحضانة، لذلك طلبت من السيّدة دروموند إيصاله إلى البيت.

هذا يعني أنّني سأضطرّ لرعاية ماني، الأمر الذي سيفسد بقيّة نهاري.

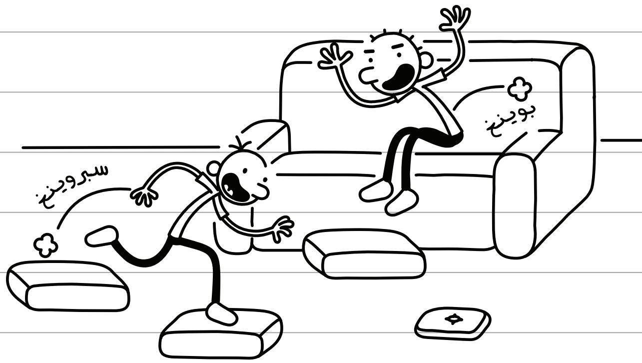
عندما أوصلته السيّدة دروموند بعد نصف ساعة، لم أعرف ماذا أفعل به. وضعته في غرفة أمّي وأبي وتركته يشاهد الرسوم المتحرّكة، لكنّه لحق بي إلى الأسفل. لذا أظنّ أنّ ماني يريد البقاء معي وحسب.



حاولت أن أتذكّر ماذا كان رودريك يفعل لي عندما كنت صغيراً. لكنّني لم أتذكّر سوى تلك المرّة التي قدّم لي فيها عصير الليمون الحامض وقال إنّه صودا.



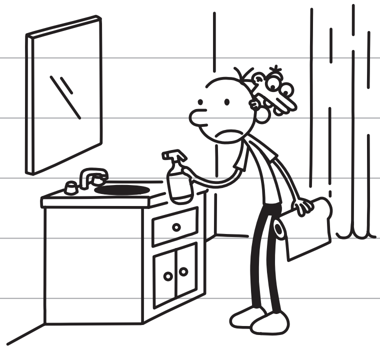
ثمّ تذكّرت لعبة كنّا نلعبها أنا ورودريك، وكانت ممتعة. كنّا ندّعي أنّ الأرض مليئة بالحمم البركانية، وأنّه علينا الدوس فقط على وسائد الأريكة.



لعبنا هذه اللعبة لساعات. فخطر ببالي أنّني إن علّمتها لماني، سيتسلّى بها بينما أنهي أعمالي. لكن عندما شرحت له اللعبة، ذُعر تماماً.

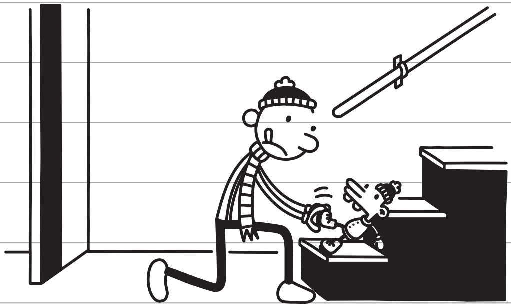


لم يعد ماني يجرؤ أن تطأ قدماه أيّ غرفة في المنزل. وهذا ما صعّب عليّ الأمور حقّاً.



لكن ما زال عليّ إنهاء واجباتي المنزلية، وإلاّ سأكون في ورطة عند عودة أمّي وأبي إلى البيت. وكانت بانتظاري مهمّة كبيرة، ألا وهي إزالة الثلج من مدخل المنزل.

عرفت أنّ ماني سينهار تماماً إن تركته في الداخل مع كلّ تلك الحمم البركانية، فألبسته الملابس المخصّصة للثلج، الأمر الذي لم يكن سهلاً.

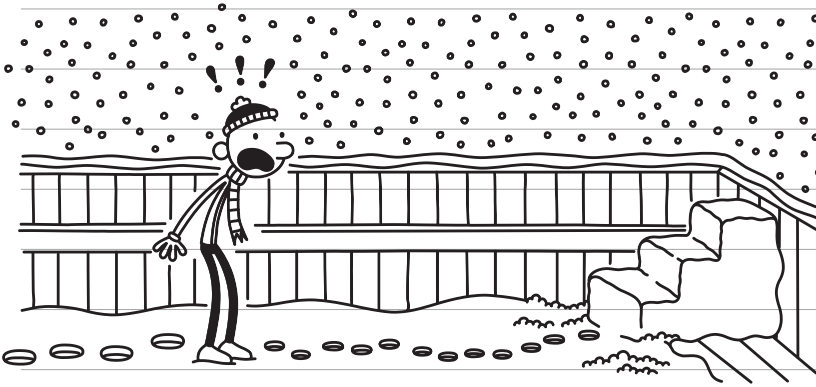


تخيّلت أنّ ماني سيلعب على الشرفة الخلفية بينما أزيل الثلوج من المدخل، وأنه سيكون بأمان لأنّ الشرفة مغلقة.



كانت الثلوج في المدخل رطبة وثقيلة، ولم أتقدّم بسهولة. أضِف إلى أنّ إحدى يديّ بدأت تتجمّد، لذلك دخلت لإحضار قفّاز الفرن لأنّني أضعت السيّد أكول.

حين دخلت، فكّرت في إلقاء نظرة على ماني على الشرفة الخلفية. لكنّ ماني كان قد اختفى بعدما بنى سلّماً من الثلوج للهرب.

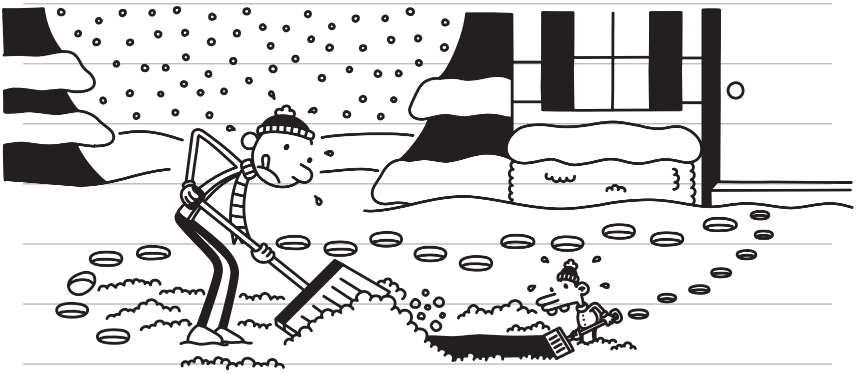


لحسن الحظّ، لم يبتعد كثيراً. وقد أدركت أنّني لا أستطيع تركه بمفرده بعد الآن.



أخذت ماني معي. وقد أصبح الوقت متأخراً، وسيغضب أبي كثيراً إن وجد الثلوج تغطّي مدخل المنزل عند عودته من العمل.

هكذا رحت أزيلها بأسرع ما يمكن بالرفش، وقام ماني بمساعدتي.



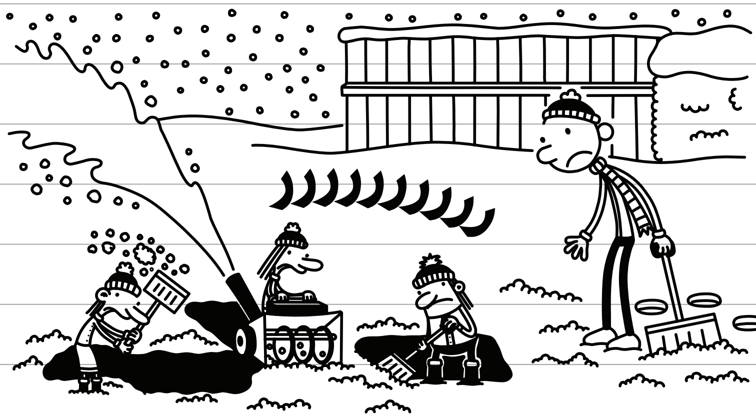
لكنّ الثلوج كانت كثيرة، والوقت ضيّق. وكنت على وشك الاستسلام عندما أتت بعض الفتيات من حيّ آخر وعرضن إزالة الثلوج مقابل عشرة دولارات.



كانت الفتيات صغيرات في السنّ، ولم أفهم كيف سيتمكّنّ من إنجاز العمل أسرع منّا أنا وماني. لكن لا بأس بالاستفادة من أيّ مساعدة ممكنة، لذلك قرّرت منحهنّ فرصة.

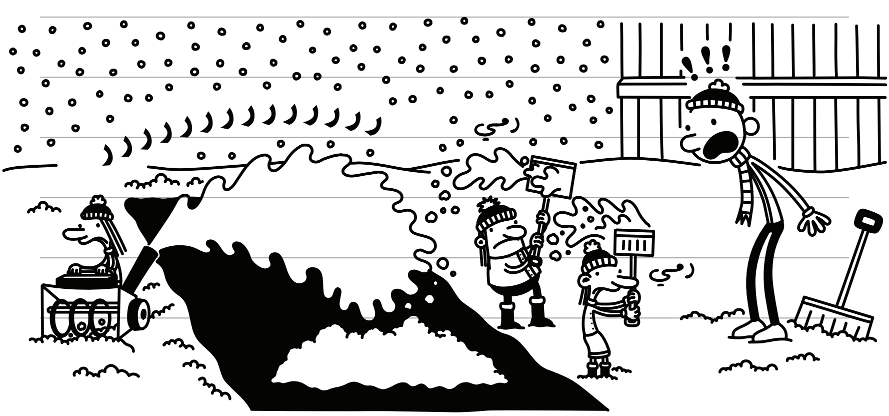
كنت أحتفظ بخمسة دولارات في درج بجانب سريري، وحصلت على الخمسة الأخرى من مرطبان كبير من الفكّة موجود في غرفة ماني. لكن ما لم أدركه عندما وافقت على الصفقة أنّهنّ يملكن آلة لإزالة الثلوج.

هكذا أنجزت الفتيات المهمّة بأكملها في غضون خمس دقائق.

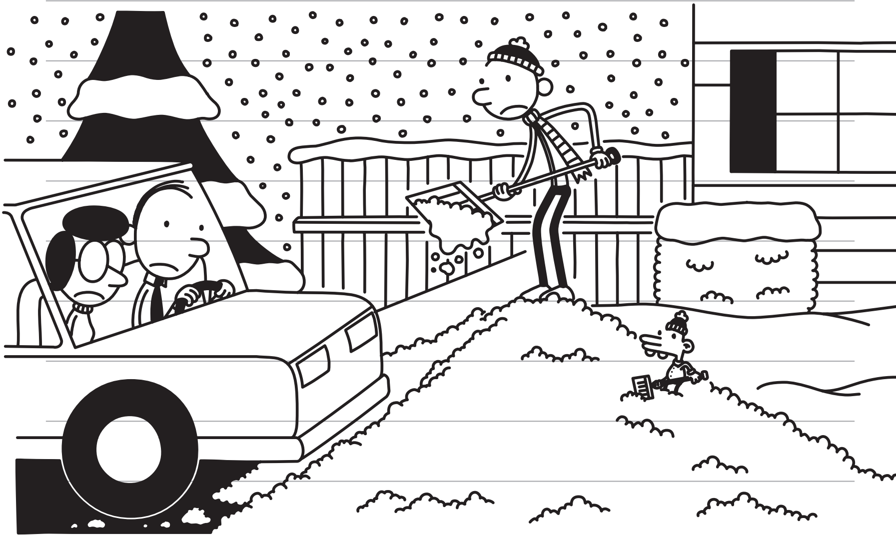


شعرتُ أنّني تعرّضت للخداع، فقلت لهنّ إنّني سأدفع ثلاثة دولارات عوضاً عن عشرة.

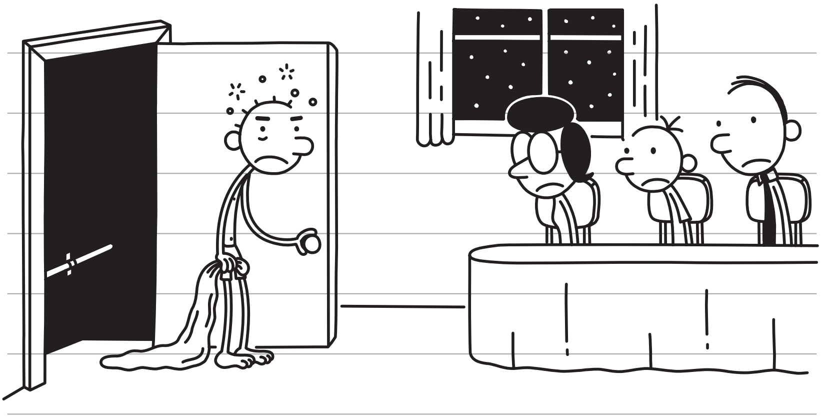
أظنّ أنّني لم أكن أوّل شخص حاول المساومة عند الدفع. إذ عمدن فوراً إلى إعادة كلّ الثلوج إلى المدخل، كما أضفنَ المزيد من الحديقة الأمامية لتسجيل موقف.



بوصول والديّ إلى البيت، كان الوضع أسوأ ممّا كان عليه.

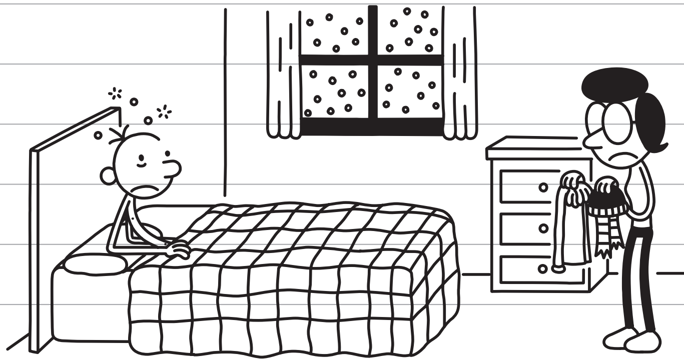


بعد العشاء، ألقى عليّ أبي وأمّي محاضرة حتّى الساعة الثامنة لعدم إنجازي الواجبات المنزلية. وفي تلك اللحظة، نهض رودريك من السرير ليبدأ يومه.



السبت

في العادة أتأخّر في النوم صباح عطلة الأسبوع، لكنّ أمّي وضعت مخطّطات أخرى لي هذا الصباح.



قالت إنّني سأمضي طوال اليوم باللعب في الخارج. أجبتها أنّني سأخرج للعب بالثلوج بعد أن أمارس بعض ألعاب الفيديو، لكنّها ذكّرتني بأنّ الشاشات محظورة في عطل الأسبوع، وعرفتُ أنّني لن أصل إلى أيّ تفاهمٍ معها.

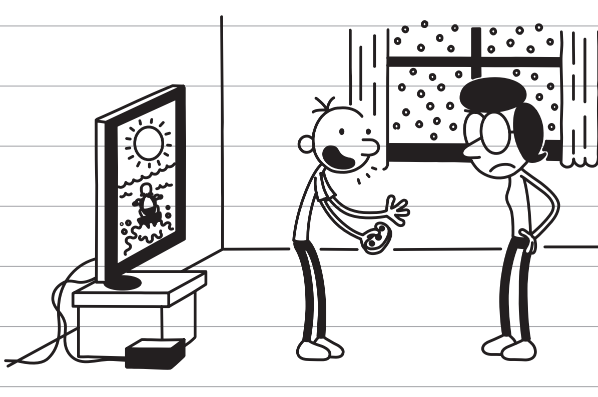
عندما كنت أصغر سنّاً، كنت أمضي ساعات في اللعب في الثلوج. لكن اليوم، بعد عشر دقائق، شعرت أنّني جاهز للعودة إلى الداخل.

يتصرّف الكبار كما لو كان اللعب بالثلوج من أكثر الأشياء متعة، لكنّني لا أراهم إطلاقاً هناك يتدحرجون عليها ويمضون أوقاتاً مرحة.

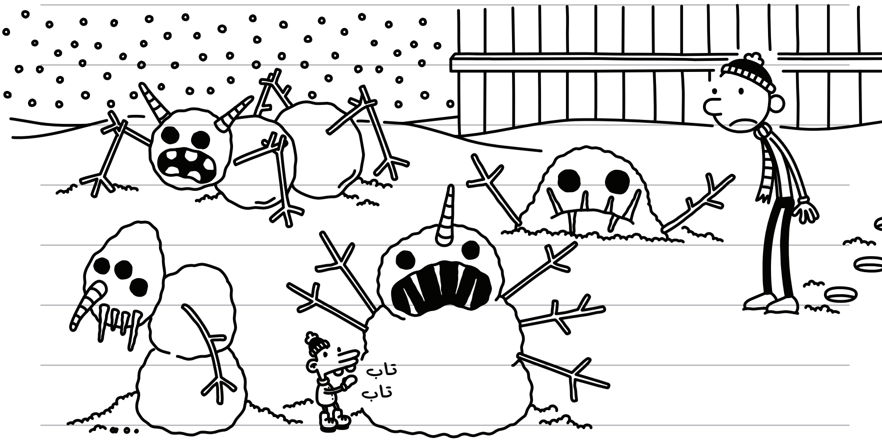
أذكر مرّة واحدة لعب فيها أبي معنا بالثلوج. إلّا أنّ تلك المرّة انتهت في اللحظة التي رمى فيها رودريك الثلوج على عنق أبي.



تجبرنا أمّي دائماً نحن الأولاد على الخروج من المنزل، لأنّنا نحتاج على حدّ قولها إلى الفيتامين «د» الذي يحصل عليه المرء من الشمس على ما أظنّ. ومع أنّني أقول لها إنّني أحصل على الكثير من الفيتامين «د» من الشمس في ألعاب الفيديو، لكنّ هذا المنطق لم ينطلِ عليها.



عندما خرجت اليوم، كان ماني قد سبقني إلى الباحة الأمامية كي يصنع رجالاً من الثلج، أو أيّاً ما تسمّون تلك الأشياء.



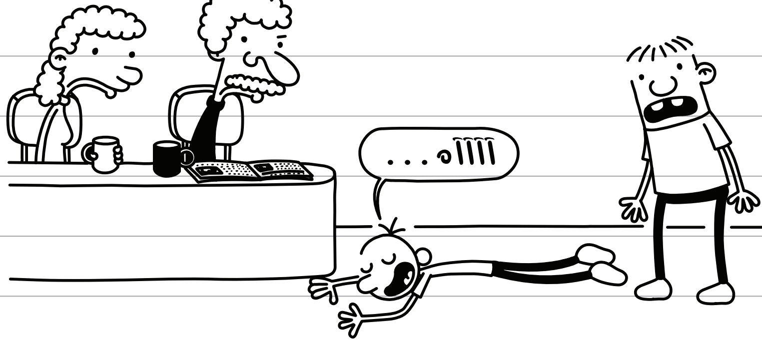
لم ننتهِ من كنس الحديقة في الخريف، لذلك استعمل ماني الأوراق التي بقيت هناك لتزيين أصدقائه الذين صنعهم بيديه. غير أنّني لا أظنّ أنّهم سيحظون بشعبيّة لدى الجيران.



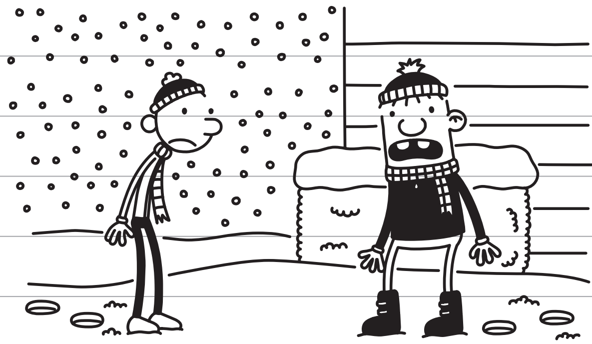
كان ماني قد استعمل كلّ الثلوج الموجودة في الباحة، لذلك لم أجد الكثير لفعله في الخارج. هكذا قرّرت الذهاب إلى بيت راولي، ما يعني أنّني مضطرّ للمرور بمنزل فريغلي. وبالطبع، كان في الخارج في باحة منزله.



ذهبتُ إلى منزل راولي لأنّ أسرته قامت مؤخّراً بتدفئة الأرضيات. لذلك في الأيّام الباردة، أحاول تمضية أطول وقت ممكن في منزله.

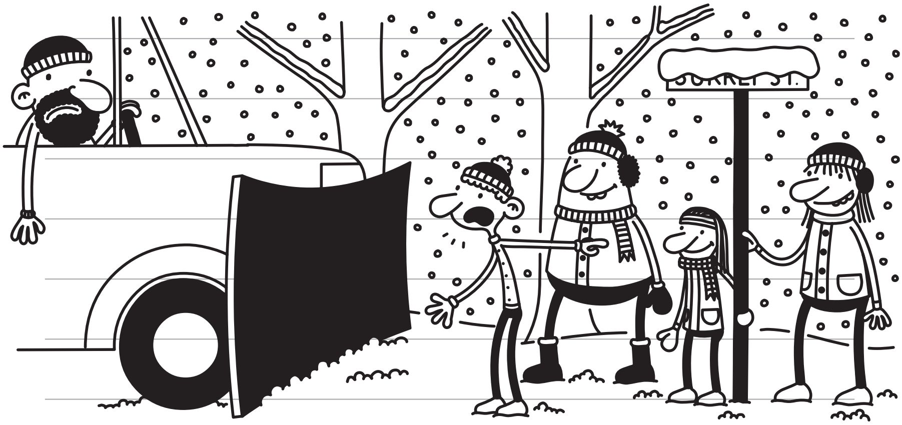


عرفت أمّي بلا شكّ أنّني سأذهب إلى منزل راولي، لأنّها اتّصلت بوالديه وتأكّدت من أنّهما سيجعلانه يمضي يومه في الخارج هو الآخر.



ما دمنا نحن الاثنان في الخارج، فكّرت في الاستفادة من الوقت قدر الإمكان. وما دمت قد تكبّدتُ عناء صعود التلّة، اقترحتُ على راولي ممارسة بعض التزلّج.

تمرّ جرّافات الثلج عادة في الصباح، لذلك يمكننا الاستفادة من المنحدرات لبعض الوقت قبل أن يتمّ تنظيف الشارع. لكنّ الرجل الذي يقوم بهذا العمل عادة كان في عطلة، لذلك قال الأولاد الذين يقطنون في أعلى التلّة للسائق البديل إنّ شارع سوراي يقع على مسافة ميلين في الأسفل. وهكذا كسبنا بعض الوقت الإضافي.



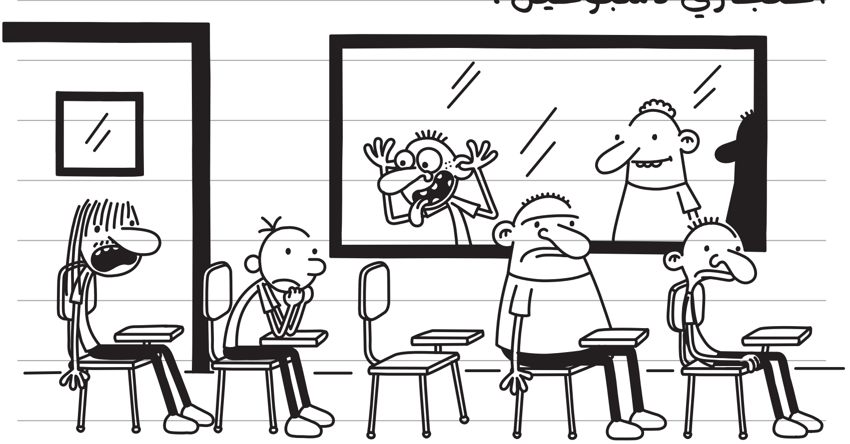
أنا لست من هواة العبث مع العمّال البديلين، لأنّ الوضع ينقلب عليك دائماً في نهاية المطاف. ففي العام الماضي، أتى أستاذ بديل لمادّة الجبر. وفي يومه الأوّل، بدّلنا أنا وزملائي في الصفّ مقاعدنا بعضنا مع بعض لأنّنا كنّا نعرف أنّ الأستاذ البديل يعتمد على خارطة المقاعد.



أعترف أنّه من المضحك جدّاً أن ينادينا الأستاذ بأسمائنا الخاطئة كلّ يوم. لكن عندما قام الولد الذي يدّعي أنّه أنا بالتصرّف كالحمقى، لم أعد أجد الوضع مضحكاً.



وعندما عادت معلّمتنا الفعليّة، سلّمها الأستاذ البديل تقريراً عن غريغ هيفلي المزيّف، فتمّ احتجازي لأسبوعين.



لم يكن راولي يملك سوى زلّاجة واحدة، لكنّها تتّسع لشخصين. فحشرنا نفسينا على متنها، ووجّهناها إلى أسفل التلّة، لكن مع كلّ هذا الوزن، لم نستطع الحصول على الزخم المطلوب واضطررنا لدفع أنفسنا لكي نتقدّم.



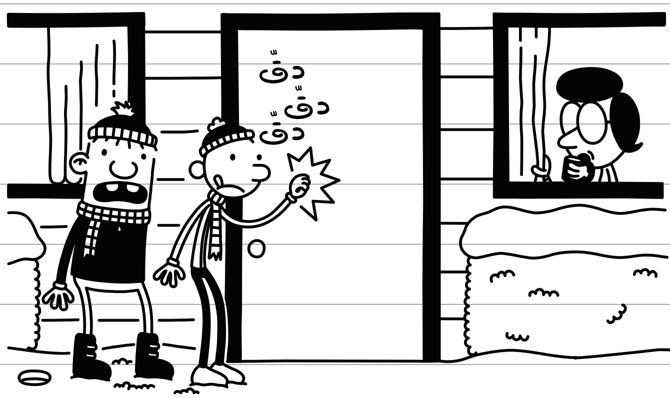
عندما اقتربنا من أسفل التلّة، توقّفت الزلّاجة. لكنّ ذلك كان من حظّنا على الأرجح، لأنّ الأولاد الذين وصلوا إلى الأسفل تعرّضوا لهجوم من أولاد شارع سوراي السفلي عندما عبروا أراضيهم.



كاد الوضع أن يتدهور، لكنّ سائق الجرّافة البديل عرف مكان شارع سوراي، ووضع حدّاً لتلك المهزلة.



تخيّلتُ أنّنا أمضينا الوقت الكافي في الخارج، فحاولنا الدخول إلى المنزل. لكنّ أمّي أقفلت الباب، وأظنّ أنّها لم تكن تمزح.



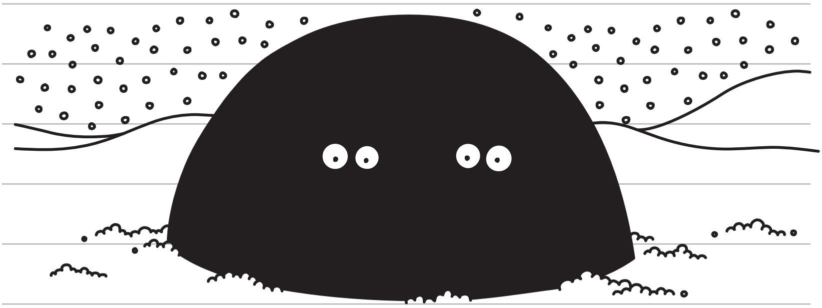
ما دام التزلّج لم يعد ممكناً، رحنا نفكّر بشيء آخر. فذهبنا إلى ساحة خالية على بعد بضعة منازل من بيتي لنقرّر ماذا سنفعل.

وما دمنا مضطرّين للعب في الخارج، فكّرتُ بطريقة لالتماس شيء من الدفء. في المدرسة، شاهدنا فيلماً عن أشخاص في القطّب الشمالي يبنون أكواخاً من الثلج للبقاء على قيد الحياة في الطقس البارد، ففكّرتُ بتجربة ذلك.

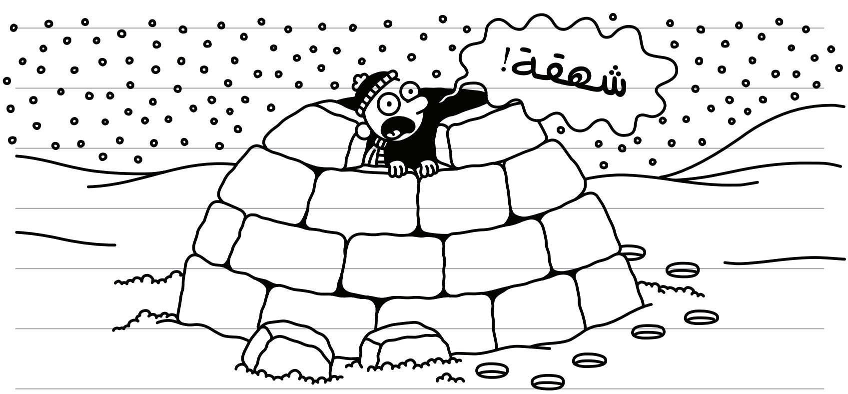
صنعنا قطع طوب من الثلوج، وكدّسناها فوق بعضها كما فعل الناس في الفيلم. كان الأمر صعباً في البداية، لكنّنا بدأنا نجيد العمل بعد ذلك. وكان الجزء الأهمّ هو التمكّن من صنع القبّة بطريقة صحيحة لكي لا تنهار فوقنا.



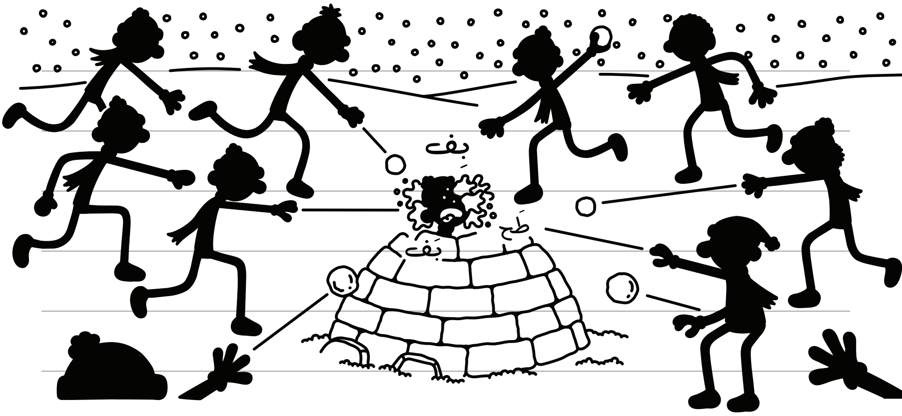
كنّا حذرَين جدّاً، وتماسك الكوخ تماماً. لكن عندما وضعنا آخر قطعة طوب في الأعلى، أدركنا أنّنا نسينا صنع باب.



بدأ راولي يعاني من صعوبة في التنفّس، ولو لم أفعل شيئاً، كان سيمتصّ كلّ الأوكسجين الموجود هناك. هكذا أخرجت رأسي من أعلى الكوخ وأخذت شهقة طويلة من الهواء المنعش.



كان بعض أولاد الحيّ يتفرّجون علينا ونحن نبني كوخنا. وعندما أطللت برأسي من الأعلى، بدوت هدفاً سهلاً.

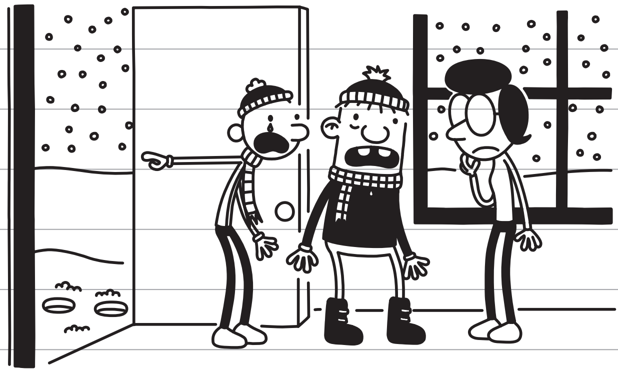


عندما انتهت كرات الثلج، تسلّق أولئك المجانين الكوخ. لكنّ كوخنا الصغير لم يكن معدّاً لاحتمال هذا الوزن الزائد، فانهار في غضون ثوانٍ.



من حسن حظّنا أنا وراولي، أننا تمكّنّا من الزحف إلى الخارج على قيد الحياة. وعندما خرجنا بسلامة من الكوخ المنهار، وجدتُ أنّنا قمنا بما فيه الكفاية من الحركة في الخارج. فعدنا إلى البيت، وهذه المرّة سمحت لنا أمّي بالدخول.

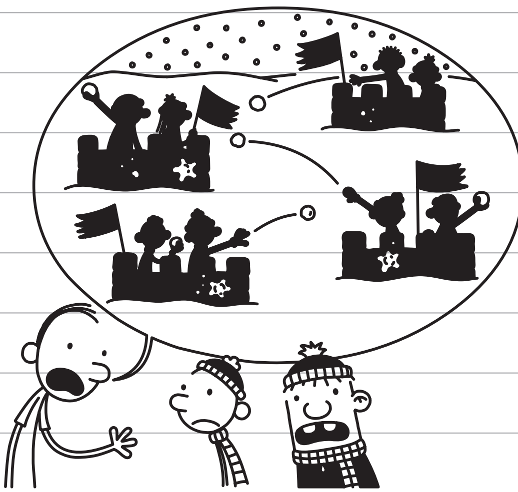
أخبرتُ أمّي بما جرى، وطلبتُ منها الذهاب إلى هناك وتوبيخ أولئك الأوغاد على ما فعلوه بنا.



فأجابت أنّ تعلّم حلّ «النزاعات» جزء من عمليّة النموّ، وأنّ علينا أنا وراولي أن نتعامل مع هذا الشجار بنفسَينا. لم يعجبني ذلك. فقد كنت أظنّ أنّ الفكرة من وجود والدَين أن يكون لدينا من يحلّ عنّا مشاكلنا.

كان أبي يصغي إلينا وهو جالس في الغرفة الأخرى، وكان ردّ فعله مختلفاً تماماً. قال إنّ أولاد الحيّ أعلنوا للتوّ الحرب عليّ أنا وراولي، وإن لم نردّ الهجوم، سيعتقدون أنّه لا بأس من الاعتداء علينا متى طاب لهم ذلك.

قال أبي إنّه عندما كان أصغر سنّاً، كان حيّه يتحوّل إلى ساحة معركة كلّما تساقطت الثلوج. إذ بنى الأولاد حصوناً هائلة من الثلج وقاموا بمعارك ملحمية بكرات الثلج، وانتمى كلّ منهم إلى قبيلة مختلفة.

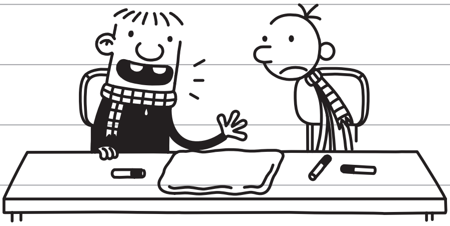


أضاف أنّه كان لكلّ قبيلة علَم. وعندما تستولي إحدى القبائل على حصن القبيلة الأخرى، تضع علماً لكي تحدّد أرضها.

عندئذٍ قال راولي إنّه يجدر بنا تأسيس قبيلة، وأحبّ كثيراً فكرة العلم تلك. أمّا أنا فوجدتها سخيفة نوعاً ما، لكن ما دام صنع العلم يمنحنا عذراً للبقاء داخل المنزل لبعض الوقت، فقد وافقت على ذلك.

عثرنا على غطاء وسادة قديم في غرفة الغسيل، فأحضرت بعض الأقلام من درج العدّة في المطبخ، وبدأنا نحاول ابتكار اسم لقبيلتنا.

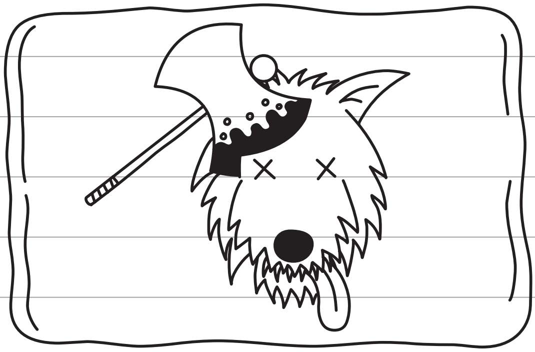
اقترح راولي تسميتها «هافِّلباف»، فقلت له إنّنا إن أردنا فعل ذلك، أريد أن يكون الاسم مبتكراً.



تجادلنا لبعض الوقت بشأن الاسم، وأدركنا أنّنا لن نتّفق على اسم واحد. فانتقلنا للحديث عن شكل العلم.

أراد راولي أن يكون رمزنا الذئب، أمّا أنا فأردت شيئاً أكثر شراسة من ذلك، لكي نخيف بقيّة الأولاد. فكّرتُ بالفأس الدامية، لكن بالطبع لم تعجب الفكرة راولي إطلاقاً. لذلك قرّرنا أن نضع الرمزين معاً.

لكن عندما تضع فأساً وذئباً معاً، تحصل على ذئب ميت، وهذا لن يخيف أحداً.

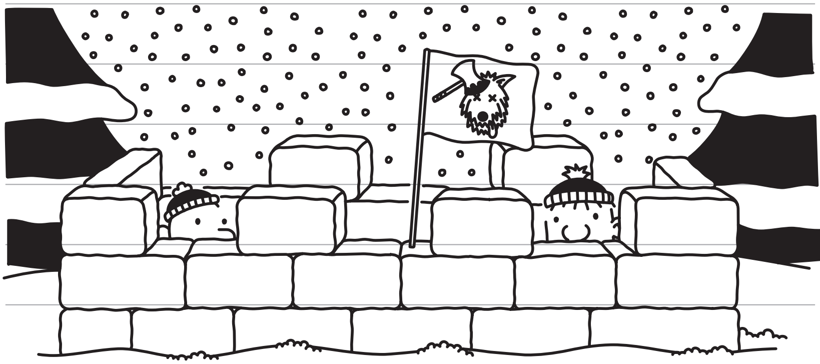


قرّرنا البدء من جديد وصنع علم آخر، لكن عندما أحضرتُ غطاء وسادة آخر، قالت أمّي إنّ علينا العودة إلى الخارج. وهكذا ارتدينا ملابس الثلج وذهبنا إلى الساحة الخالية.

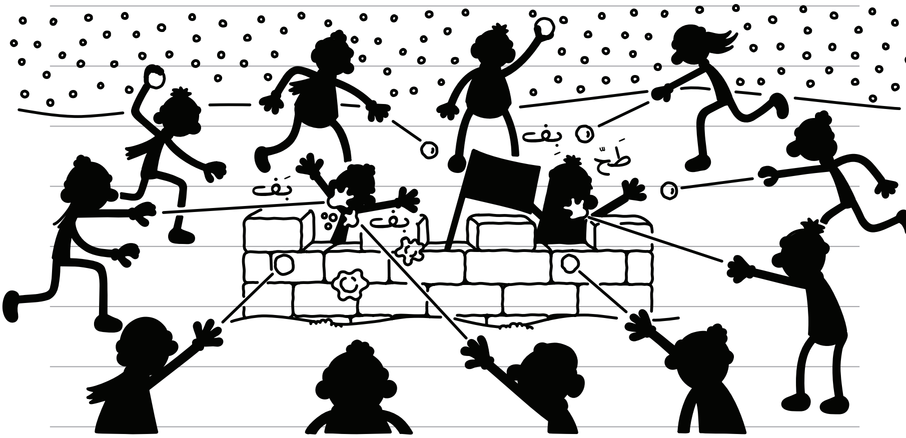
كان الأولاد الذين حطّموا كوخنا قد انتقلوا للعب بأشياء أخرى، وهكذا استحوذنا على المكان أنا وراولي. استعملنا الثلوج التي بنينا فيها الكوخ كأساس، وبنينا حصناً يمكنه أن يصدّ الهجوم.



بعد انتهائنا، غرزنا علَمنا على قمّة ذلك الجدار وانتظرنا.



تخيّلتُ أنّ حصننا سيجذب بعض الاهتمام، لكن لم أدرك كم سيكون حجم ذلك الاهتمام. ففي غضون دقائق، توافد إلينا الأولاد من كلّ حدب وصوب.

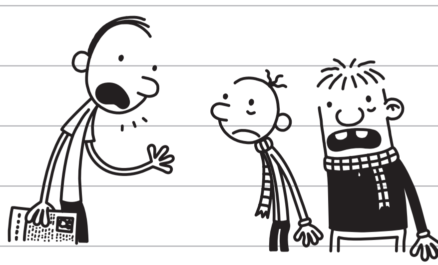


كان عددهم كبيراً جداً بالنسبة إلينا نحن الاثنين، وعندما هجموا على حصننا، اضطررنا لتركه.



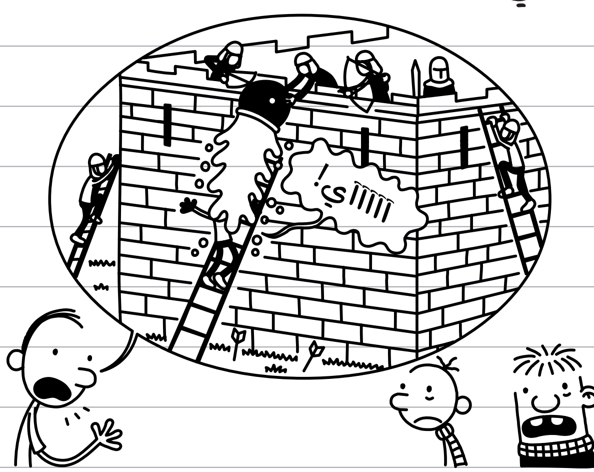
حين عدنا إلى البيت، أخبرنا أبي بما جرى. وعندما وصفناله حصننا، قال إنّ كلّ ما قمنابه كان خاطئاً.

أضاف أنّه علينا بناء حصننا على أرض مرتفعة لكي نستطيع صدّ الأعداء.



ثمّ استغرق أبي في درسٍ تاريخيٍّ كبير عن حروب الحصون وكلّ ما كان يفعله أولئك الناس للدفاع عن أنفسهم في تلك الأزمنة.

كان سلوكهم في تلك الأيّام عنيفاً جدّاً، وأخبرنا بمثال على ذلك. فعندما كان الغزاة يحاولون تسلّق جدران القصر، يصبّ عليهم أصحاب القصر الزيت المغليّ.



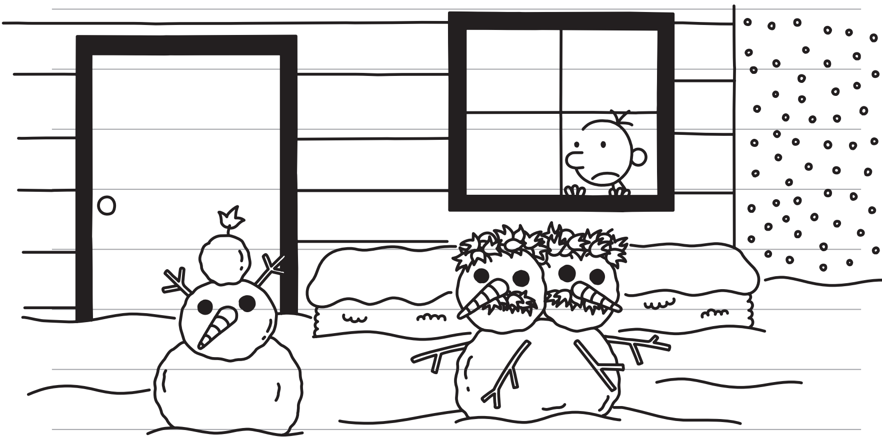
أتمنّى ألّا تبلغ الأمور هذا الحدّ في معارك حيّنا. لكن الليلة، أضفتُ شيئاً إلى قائمة مشتريات أمّي تحسّباً.

قائمة المشتريات

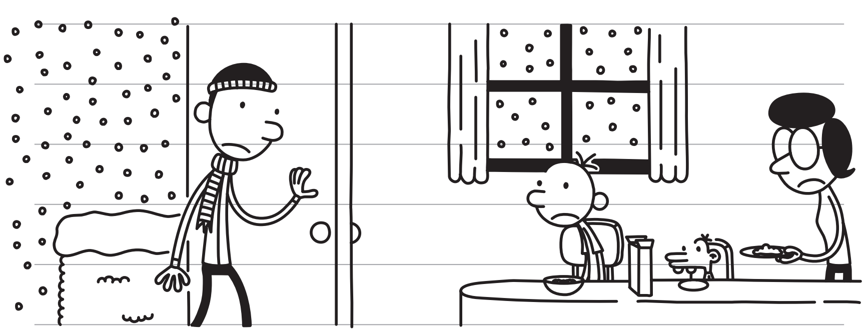
بازلّاء	بيض
إجاص	حليب
بطّاريات	كاتشاب
	خبز
زيت	كبيس

الأحد

تراكمت في الليلة الماضية سبعة إنشات أخرى من الثلوج،وعندما استيقظت، وجدتُ الشارع بأكمله مكسوّاً باللون الأبيض، حتّى أنّني لم أستطع رؤية الخطّ الفاصل بين باحة منزلنا والطريق.



فوجئت قليلاً لأنّ الجرّافة لم تمرّ بعد. فعندما يتساقط هذا القدر من الثلوج، لا يتمكّن الناس من إخراج سيّاراتهم من مداخل المنازل. لكن عندما عاد أبي من نزهته الصباحية، عرفت ماذا جرى.



قال أبي إنّه عندما حاولت الجرّافة صعود التلّة، علقت في الثلوج. وحين وقع السائق في كمين نصبه أولاد الحيّ، لاذ بالفرار وترك الشاحنة في الشارع.



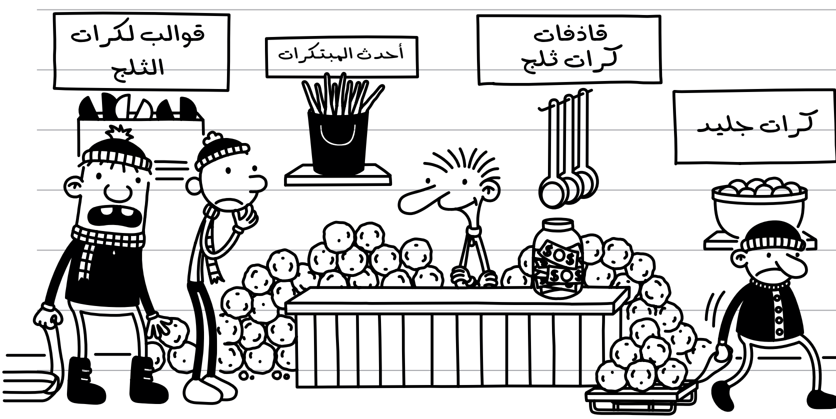
هذا يعني أنّه بإمكاننا التزلّج طوال اليوم إن طاب لنا ذلك. لكنّ التزلّج للأولاد، وأنا أملك خططاً أخرى في رأسي.

في الواقع، أمضيت الليل بطوله وأنا أتصفّح كتب أبي لأتعلّم كلّ شيء عن حرب القلاع واستراتيجيّات المعارك. وبحلول الصباح، كنت جاهزاً تماماً.



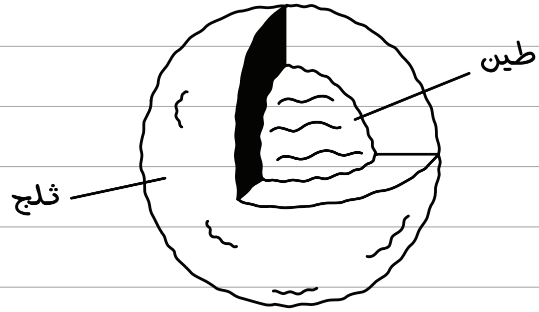
أردت أن أبدأ ببناء حصن مع راولي حالاً، لكنّني عرفت أنّنا ما إن نبني الجدران، حتّى نتعرّض للهجوم. والطريقة الوحيدة لصدّ الهجوم هي بامتلاك ذخيرة.

فكّرت في التزوّد بكمّية كبيرة من كرات الثلج المعدّة مسبقاً من عند ميتشيل بيكيت. فذهبنا إلى كشكه، ووجدناه مفتوحاً. أظنّ أنّ الأمور سارت على خير ما يُرام مع ميتشيل في الشتاء الماضي، لأنّه وسّع أعماله هذا العام.



كنت قد اقترضت مالاً كافياً من مرطبان الفكّة الخاصّ بماني لدفع ثمن ثلاث دزّينات من كرات الثلج، لكن عندما رأيت السلع الأخرى، أصبحت خياراتي صعبة.

بدت أحدث المبتكرات شبيهة بكرات الثلج العادية، لذلك سألت ميتشيل لمَ هي أغلى ثمناً بخمسة أضعاف. فأجاب أنّ كلًّا منها هي عبارة عن كرة ثلج عادية تحتوي على الطين في الداخل. ولا تسألوني كيف تمكّن من صنعها.

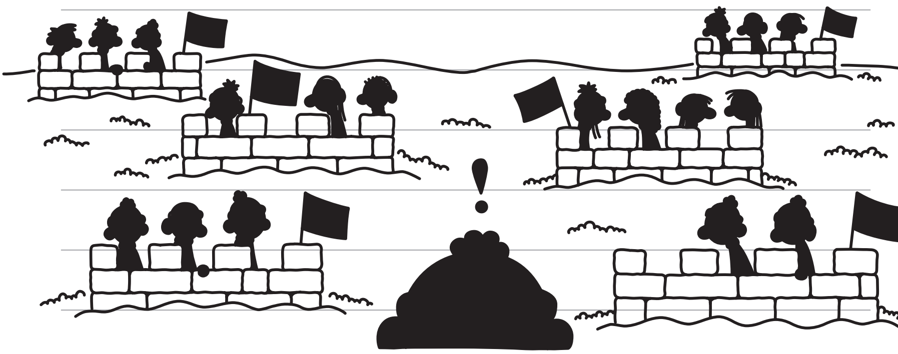


في نهاية المطاف، اشترينا دزّينتين من كرات الثلج المعدّة مسبقاً، وقاذفة كُرات فكّرتُ في استعمالها إن احتجنا إصابة أحدهم عن مسافة بعيدة.

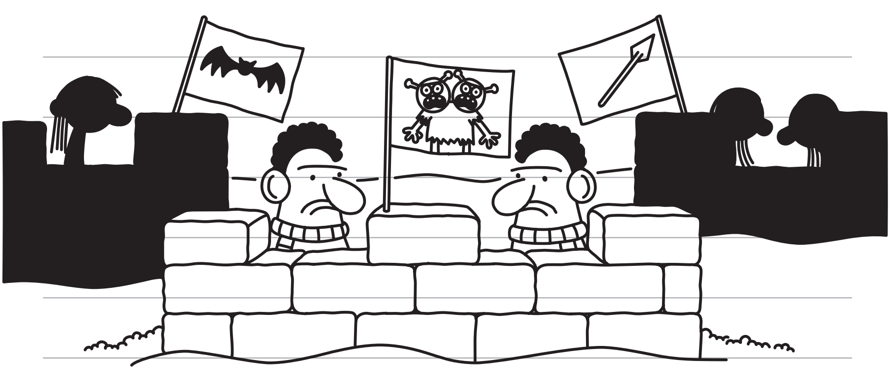
لكنّني تمنّيت لو أحضرت مرطبان الفكّة بأكمله، لأنّ ميتشيل كان يبيع منجنيق ثلوج بدا بالفعل أنّه قادر على إحداث ضرر لا بأس به.

غير أنّني سأشتري ذاك المنجنيق في المرّة القادمة. حمّلنا مشترياتنا على زلّاجتي وعدنا إلى الساحة الخالية.

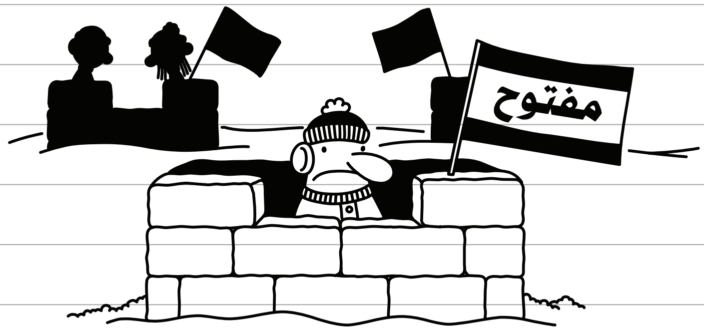
لكن عندما اقتربنا، صُدمنا تماماً بما رأيناه. كان هناك على الأقلّ عشرة حصون ثلجية فيها، وكانت مليئة بالأولاد.



قلّد أولئك المشاغبون فكرتنا بالكامل، بما في ذلك الأعلام. فقد رسمت الأخوات مارلي رمحاً على علمهنّ، ورسمت إيفلين تريمبل وطواطاً. أمّا التوأمان غارزا فكان علمهما يحمل رسم غول برأسين، بدا لي رائعاً بالفعل.



كانت بعض الأعلام سخيفة حقّاً. إذاً، والد ماركوس ماركوني كان يملك متجراً للشطائر في وسط البلدة، إلّا أنّه أغلقه منذ مدّة. فصنع علماً من اللافتة التي كانت تُعلَّق أمام المطعم.



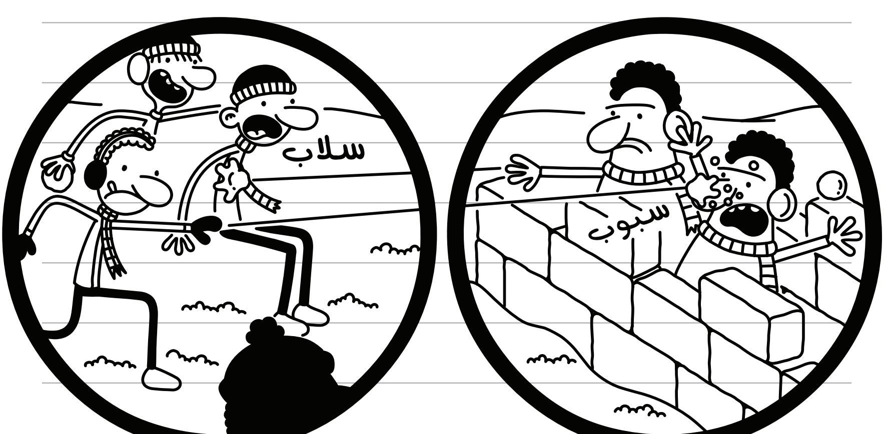
أردتُ الاقتراب لرؤية مَن بنى حصناً أيضاً، لكن عندما أصبحنا بجوار الساحة الخالية، فتح إرنيستو، وغابريال، ومجموعة من الأولاد الآخرين، النار علينا.



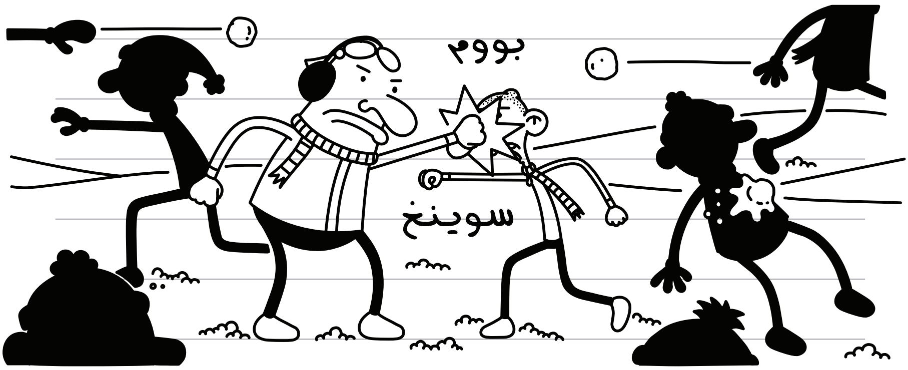
كانت الساحة شديدة الازدحام، ومن المستحيل أن نبني حصناً ثلجياً هناك الآن. وبالتالي، كانت فرصتنا الوحيدة هي الاستيلاء على حصن شخص آخر.

أحضرتُ من مرأب منزلنا منظاراً قديماً وبدأنا نراقب الحصون من دون الاقتراب كثيراً.

غير أنّ الجنون تصاعد كثيراً هناك خلال الدقائق الخمس التي غبنا فيها. إذ كان غابرييل وإرنيستو يخوضان حرباً مع الأخوات مارلي، بينما احتدم العراك بين مجموعة من أولاد التعليم المنزلي والتوأمين غارزا.



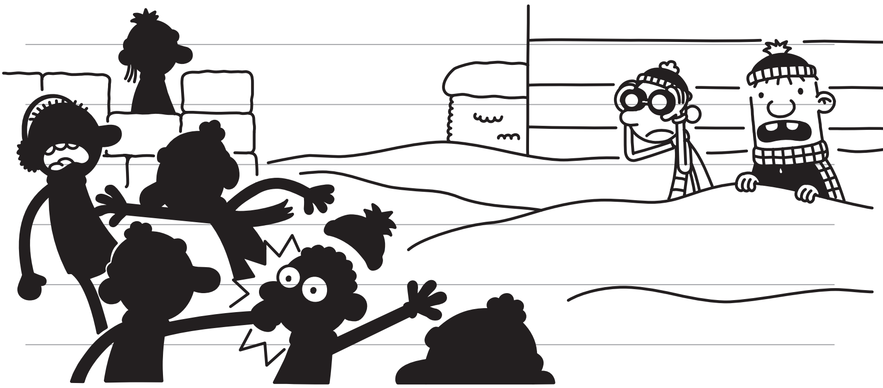
تحالفت إميليا غرينوال وإيفلين تريمبل لقتال أنطوني دينارد وشيلدون رييس، وتحوّلت المعركة بين عنتر ولاتريسيا هوكس إلى عراك بالأيدي .



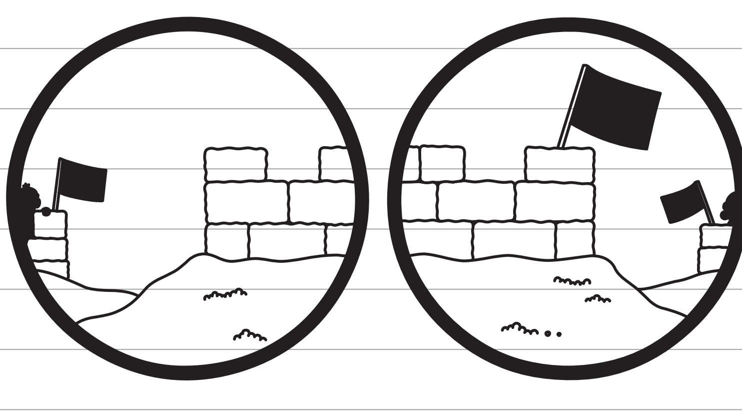
لم أكن أتابع كلّ ذلك، بل كنت أبحث عن حصن ضعيف، ووجدتُ واحداً. فالأولاد الذين يقطنون في المبنى المؤلّف من طابقَين قاما ببناء حصن بدا متيناً، لكنهم كالعادة، كانوا يتشاجرون .



فكّرت أنّهم سينهكون بعضهم بعضاً في العراك، وعندئذ سنقتنص أنا وراولي الفرصة. لذلك اقتربنا أكثر وانتظرنا اللحظة المناسبة.

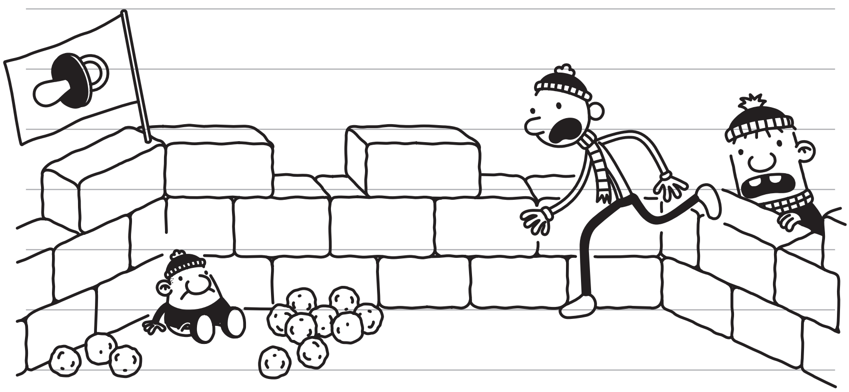


عندئذٍ لاحظت وجود حصن ليس فيه أحد. كان الحصن على قمّة تلّة ثلجية كبيرة. فتذكّرت ما قاله أبي عن ارتفاع الأرض، ووجدت أنّ هذا الحصن مبنيّ في بقعة ممتازة.

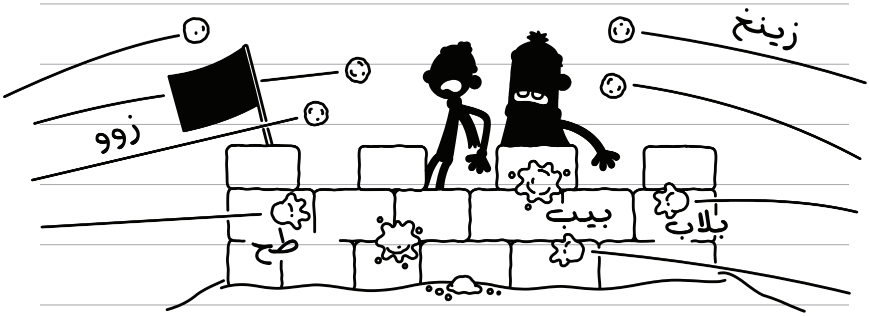


لم أفهم لماذا يقوم شخص ببناء حصن وتركه، لكنّني عرفت أنّ هذه فرصتنا الكبيرة. لذلك تسلّلنا من الخلف، وتسلّقنا الجدار الخلفي.

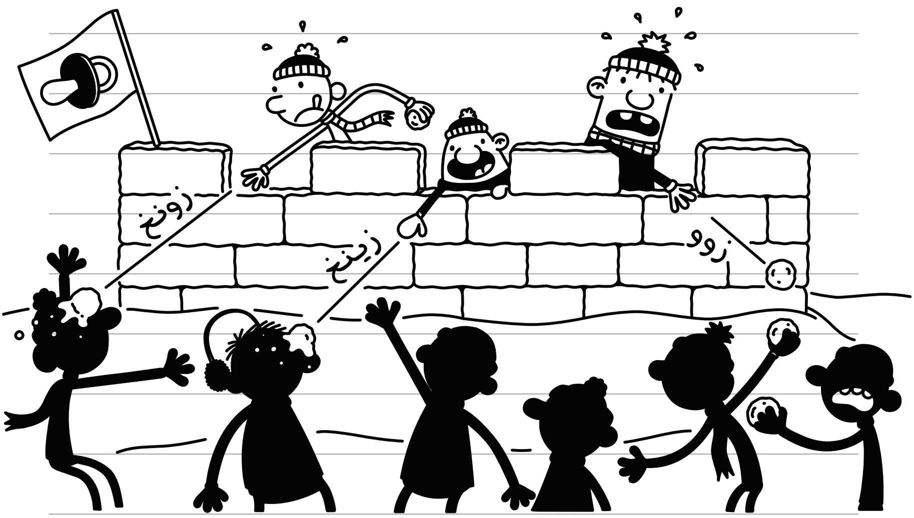
تبيّن أنّ الحصن ليس خالياً. فقد كان غيبسون الصغير في داخله مع كومة من كرات الثلج.



ما إن دخلنا الحصن حتّى تعرّضنا للهجوم.



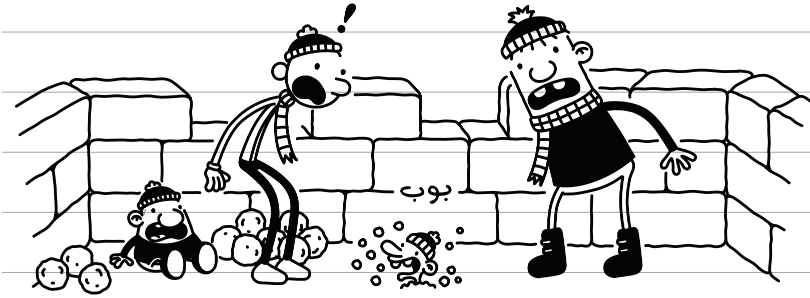
يبدو أنّ أولاد التعليم المنزلي يعلمون أهمّية ارتفاع الأرض هم أيضاً، لذلك أرادوا الاستيلاء على الحصن. لكن عندما شنّوا هجومهم، قمنا بصدّهم. وحتّى غيبسون الصغير شارك في ذلك.



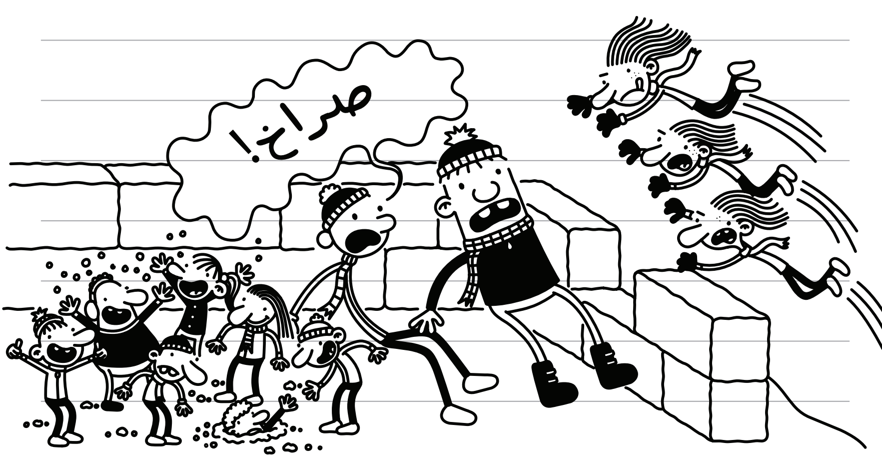
ثمّ بدأ الأولاد يهاجموننا من كلّ اتّجاه، وازدادت مهمّة الدفاع عن الحصن صعوبة.

بعد ذلك انقسم أولاد المبنى المؤلّف من طابقين إلى قسمين، وهاجمونا من اليمين والشمال، في حين بدأ إرنيستو وغابريال يستعملان قاذفات كرات الثلج ويرميانا بها من حصنهما.

وبينما كنّا نحاول التعامل مع كلّ ذلك، حفر ولد صغير من دار حضانة السيّدة جيمينيز نفقاً تحت حصننا، وأخذنا على حين غرّة.



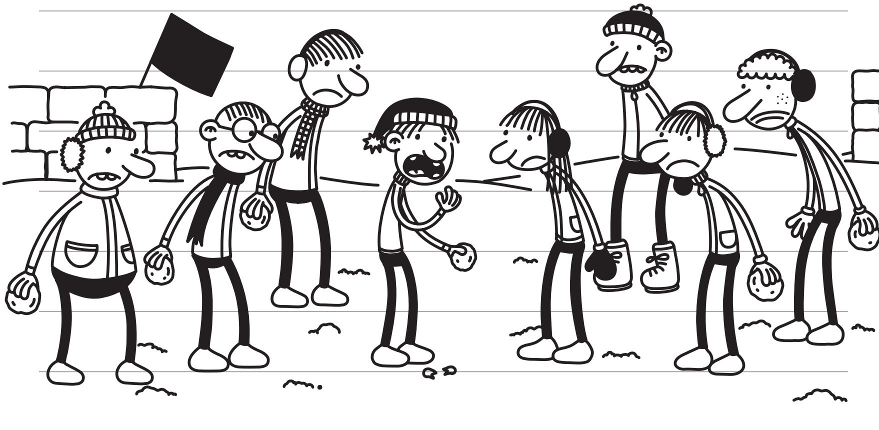
فجأة، اكتسح أطفال الروضة حصننا. وتُوّج ذلك بهجوم من الشقيقات مارلي من الجهة الخلفية، وكان هجوماً مروّعاً، لأنّ أولئك الفتيات يهاجمن الأعين.



طُرِدنا أنا وراولي من الحصن إلى ساحة المعركة المفتوحة التي كانت غارقة في الفوضى. كان الجميع يتعاركون بعضهم مع بعض، وقد فقدوا كلّ حسّ بالمنطق.



فجأة حدث أمر جعل الجميع يتوقّفون. فقد تلقّى جو أوروك ضربة بكرة جليد على فمه وخسر سنَّين.



في حيّنا، كان العراك بالكرات الجليدية «محظوراً». وعندما يتجاوز أحد الأولاد ذلك الخطّ، يعلم الجميع أنّ الأمور ذهبت بعيداً.

أتى ممثّلون من كلّ القبائل، واجتمعوا في وسط الساحة الخالية للاتّفاق على القوانين.

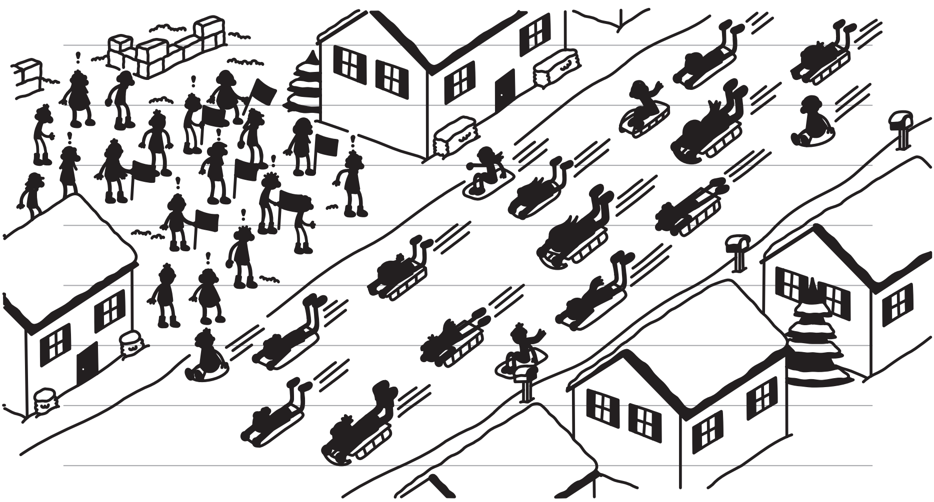


فوافق الجميع على أنّ كرات الجليد محظورة، وكذلك الثلج الأصفر. كما ابتكرنا مجموعة من القوانين الأخرى، كمنع حشو الثلج في قبّعة أحدهم ووضعها على رأسه.

وما إن اتّفقنا على كلّ شيء، حتّى أصبحنا جاهزين للجولة التالية.

لكن بينما كنّا نقوم بكلّ تلك المحادثات، لم نلاحظ ما كان يجري خلفنا تماماً.

فقد تسلّل أولاد شارع سوراي السفلي إلى أعلى التلّة مع زلّاجاتهم، ولم يعد بإمكان أحد إيقافهم.



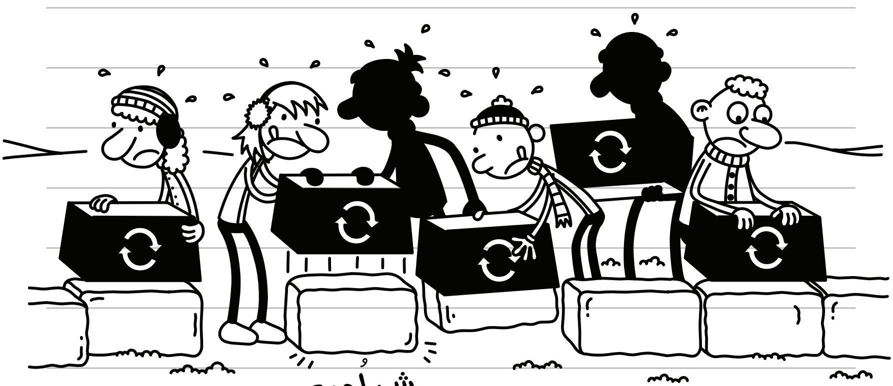
في الواقع، ثمّة شيء واحد يمكن أن يجعلنا نتّحد نحن أولاد التلّة، وهو عندما يحاول أولاد أسفل التلّة أخذ شيء يخصّنا. فنحن لا نملك الكثير لكنّنا نملك التلّة، ولن نسمح لأحد بسلبنا إيّاها.

وما دامت الجرّافة عالقة في الثلوج، سيستمرّ أولئك الأولاد بالتوافد.

قرّرنا فعل شيء حيال ذلك.

كانت الطريقة الوحيدة لمنع أولاد شارع سوراي السفلي من صعود تلّتنا هي بناء جدار يسدّ طريقهم. ولم نكن نريد بناء جدار هشّ يحطّمونه بسهولة، بل أردنا شيئاً أكثر متانة.

لكن علينا القيام بذلك بسرعة، لأنّ أولئك الأوغاد يصعدون التلّة بزلّاجاتهم. لذلك أحضرنا بعض حاويات إعادة التدوير من المنازل المجاورة وبدأنا البناء.

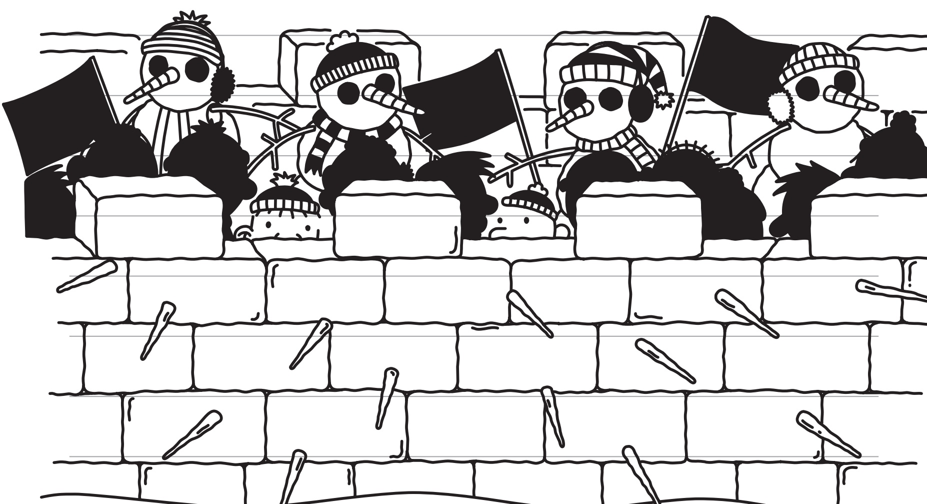


بنينا جداراً مزدوجاً. فإذا اخترق أحدهم الطبقة الأولى، سيواجه طبقة ثانية. وكدّسنا طنّاً من كرات الثلج.

لن يكون بإمكاننا الحصول على الزيت المغليّ، لذلك ذهب راولي إلى منزله لملء بعض القوارير الحافظة بالشوكولاته الساخنة.

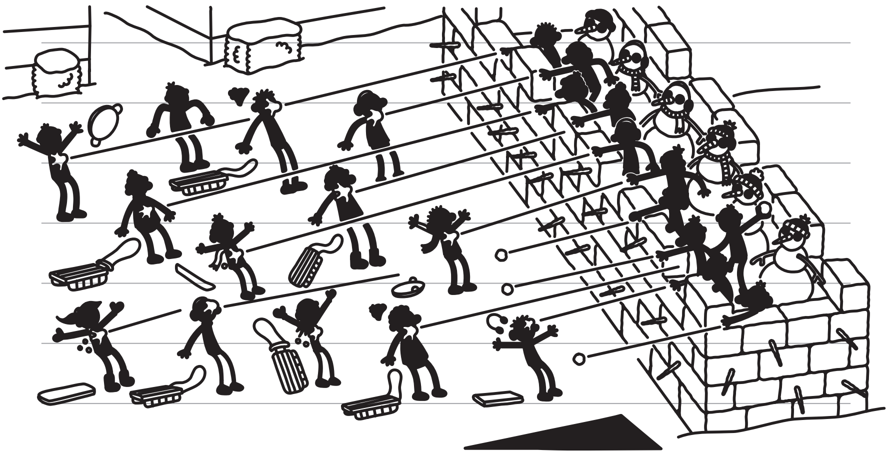
وذهب أولاد التعليم المنزلي وجمعوا أكوازاً ثلجية لإلصاقها بالجدار، بينما صنع أولاد المبنى ذي الطابقين رجالاً من الثلج لنبدو أكثر عدداً ممّا نحن عليه بالفعل.

وعندما عاد أولاد شارع سوراي السفلي، كنّا جاهزين لهم.

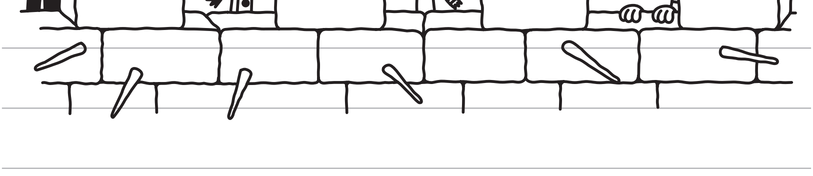


عندما رأى أولئك الأولاد الجدار الذي بنيناه، لم يعرفوا ماذا يفعلون.

عندما اقتربوا، رحنا نرميهم بكلّ ما لدينا.

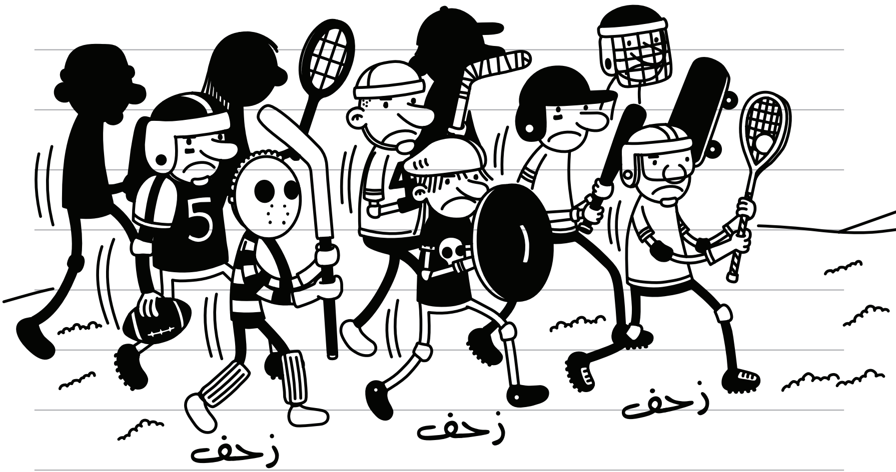


ولم يكن أمامهم أيّ فرصة للتغلّب علينا. هكذا عادوا من حيث أتوا، واحتفلنا بنصرنا.

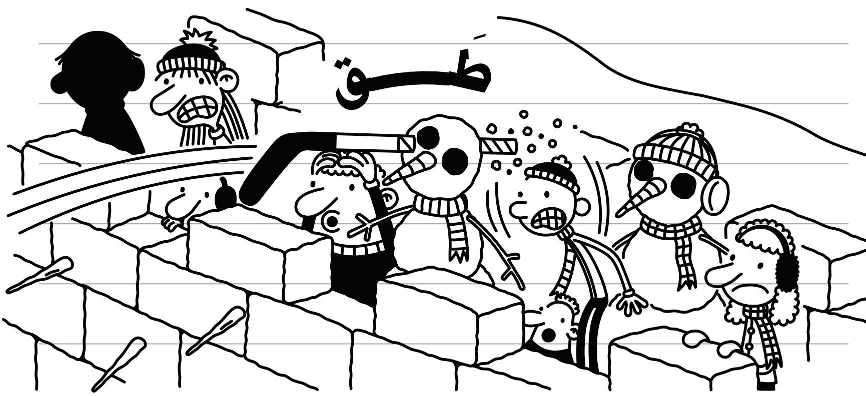


لكنّ احتفالنا كان مبكراً جدّاً، فبعد عشر دقائق، عادوا مجدّداً.

وكانوا هذه المرّة بكامل عتادهم.

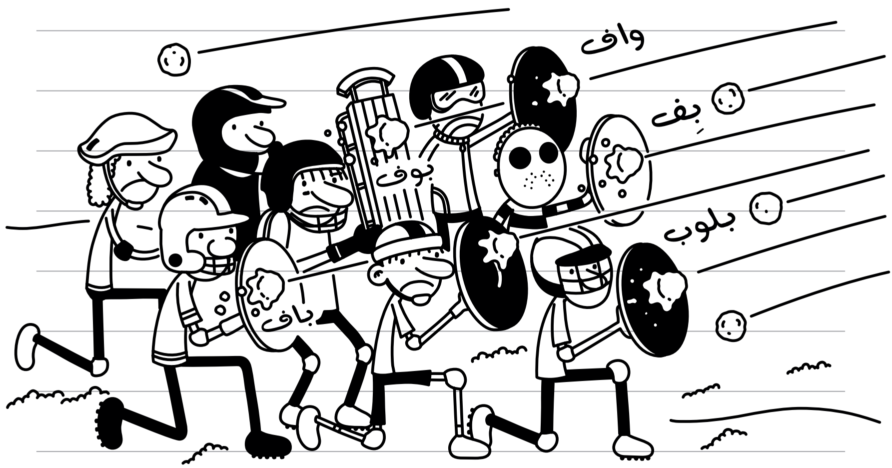


كان معظمهم يرتدون الملابس الرياضية لحماية أنفسهم من كرات الثلج. وعندما رمانا أحدهم بعصا هوكي، أدركتُ أنّ هذه المعركة لن تكون سهلة.



مع ذلك، كان لدينا الجدار، وكنّا على أرض أكثر ارتفاعاً.

هكذا، أطلقنا عليهم جولة أخرى من كرات الثلج.



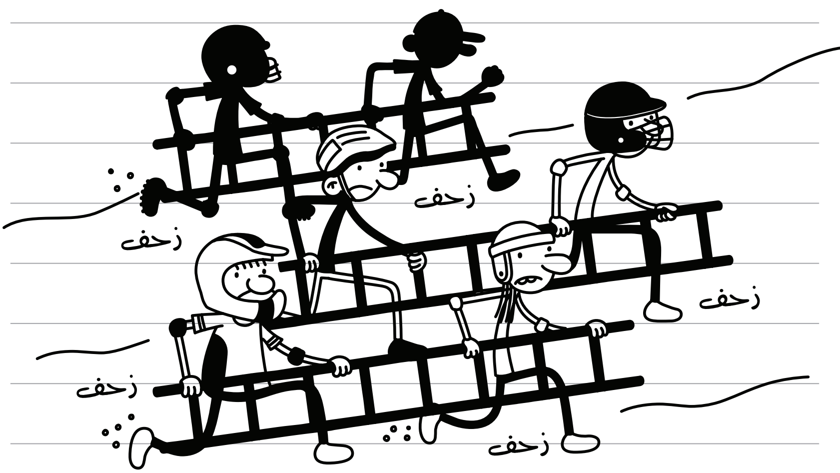
صددنا هجومهم لبعض الوقت، لكنّ أولئك الأولاد كانوا يحتفظون ببعض المفاجآت في جيوبهم. فقد أطلقوا علينا سلسلة من أحدث المبتكرات، ولم نكن مستعدّين لها إطلاقاً.



إن كان أولاد شارع سوراي السفلي يملكون أحدث المبتكرات، فهذا يعني أنّ ميتشيل بيكيت يلعب على الحبلين.

لكنّنا سنتعامل معه لاحقاً، لأنّنا نواجه الآن مشكلة جديدة.

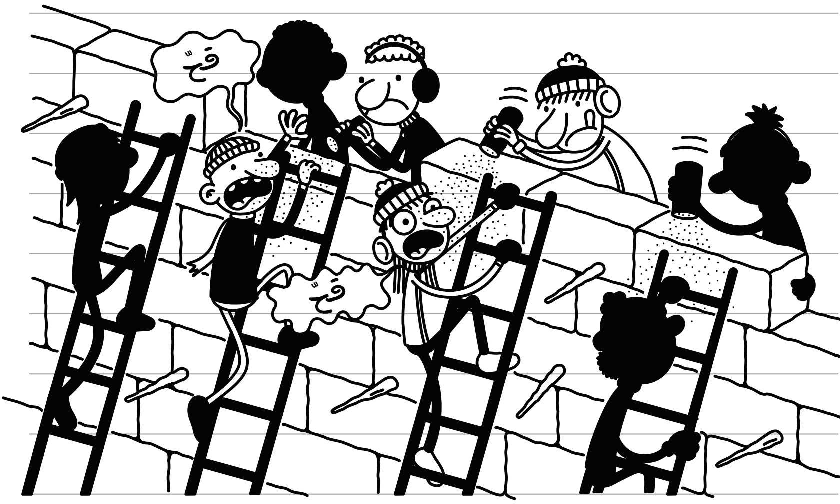
إذ تبيّن أنّ أحدث المبتكرات كانت مجرّد وسيلة لصرف انتباهنا عن موجة الهجوم التالية، التي أتت بسرعة.



قذفنا الأولادَ الذين يحملون السلالم بكرات الثلج، لكن ما لبثوا أن غرزوا سلالمهم عند قاعدة الجدار وبدأوا يتسلّقون.

عاد راولي بالقوارير الحافظة في الوقت المناسب.

أفرغنا القوارير على الأولاد الذين يتسلّقون الجدار. لسوء الحظّ، لم يُضف راولي الماء إلى خليط الشوكولاته الساخنة، لذلك لم تنفع سوى بإزعاجهم.

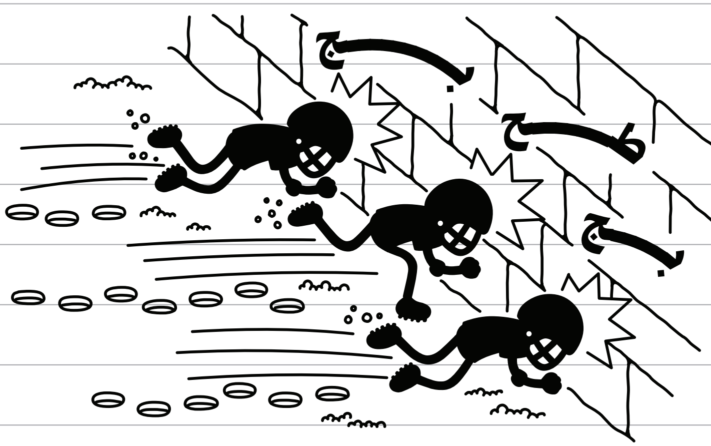


فشعرتُ أنّ أولئك الأولاد كانوا على وشك الاستيلاء على الجدار. لكن في تلك اللحظة، أنقذَتنا لاتريسيا هوكس وعنتر بإلقاء حاويات مليئة بالوحول عليهم.



لكنّنا لم نجد الوقت للاحتفال، لأنّ أولاد شارع سوراي السفلي كانوا يشنّون هجومهم التالي.

كان نصف الأعضاء في فريق كرة القدم للصفّ الخامس يعيشون في أسفل التلّة، وحاولوا تحطيم الجدار بقوتهم الجسدية.



لكنّ الجدار بقي صامداً، وأنهك أولئك الفتيانُ أنفسهم تماماً.

في تلك المرحلة، كان الجميع قد تعبوا. فقد سطعت الشمس، وبدأ الجوّ يصبح دافئاً. فتمنّيت لو لم أرتدِ ملابسي الداخلية الشتوية، لأنّني كنت أحترق تحت كلّ تلك الطبقات من القماش.

واصل أولاد شارع سوراي السفلي زحفهم علينا، وواصلنا صدّهم. وبعد مدّة من الوقت، لم يعد أحد يملك الطاقة لمواصلة القتال.

أخيراً، استدار أعضاء الفريق الآخر وعادوا إلى منازلهم. في البداية، ظننّا أنّنا فزنا، لكنّ أولئك الفتيان لم يستسلموا، بل كانوا يعيدون شحن طاقاتهم وحسب.

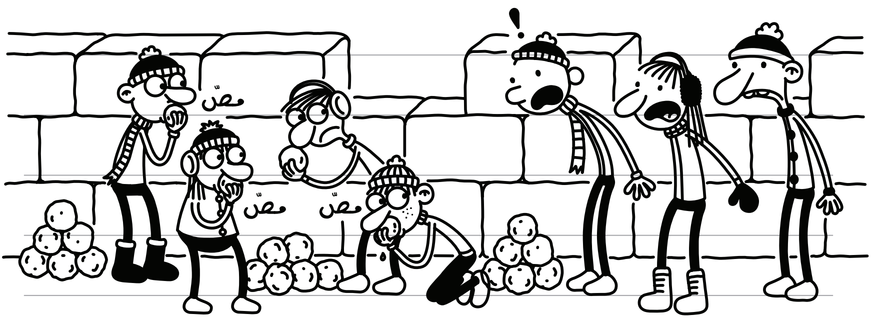
حان وقت الغداء، فعاد الأولاد من أسفل التلّة حاملين الشطائر والوجبات الخفيفة.

وعندما أتى ولد وهو يدحرج برّاداً مليئاً بعلب العصير، أصبح من الصعب بعض الشيء مشاهدة ذلك.



في الحقيقة، كنّا نشعر بعطش شديد عند الجدار، وكانت الحرارة تزداد ارتفاعاً.

بدأ بعض الأولاد يمصّون كرات الثلج لترطيب أجسادهم، فقضوا على نصف مؤونتنا قبل أن ندرك ما يجري.



أجرينا جردةً لما بقي لدينا، فأدركنا أنّنا لا نملك ما فيه الكفاية من الذخيرة لصدّ هجوم كبير. عندئذٍ، قسّمنا بقيّة كرات الثلج إلى أثلاث، وعيّنا أنطوني دينارد حارساً عليها.

بعد ذلك انتظرنا الهجوم التالي لأولاد شارع سوراي السفلي، لكنّ الهجوم لم يحصل.

أدركنا بعد ذلك أنّ استراتيجيّتهم تقضي بجعلنا ننتظر حتّى ننهار، ومن ثمّ يستولون على الجدار من دون معركة.

كان بيرفيس جينتري أوّل ولد ينهار في فريقنا، فهو لم يتناول حتّى الإفطار، لذلك ثار جنونه أمام منظر بقايا الشطائر الملقاة على الأرض.

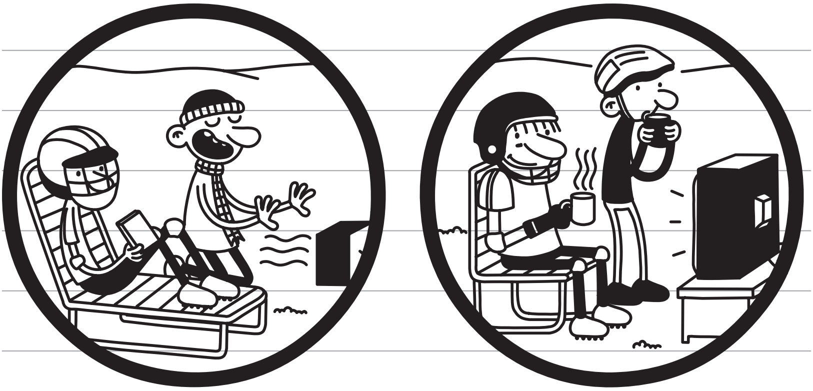
تسلّق الجدار وراح يجري إلى مخيّم شارع سوراي السفلي، وكانت تلك آخر مرّة نراه فيها.



أما نحن بقية أولاد التلّة فبقينا متماسكين. مرّت ثلاث ساعات، لكنّ أولئك الأولاد لم يظهروا.

في الواقع، بدوا كأنّهم يستعدّون لقضاء الليلة على هذه الحال.

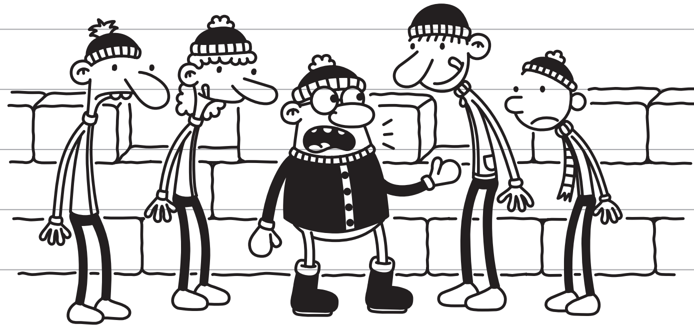
كان عدد منهم قد مدّوا أسلاكاً من منازلهم، ووصلوها بالتيار الكهربائي. واستطعنا رؤية وهج شاشات التلفاز من حيث نحن.



أخذت الأمور تتطوّر من سيّئ إلى أسوأ عند الجدار. فقد أنهك التعب والجوع كثيراً من الأولاد الصغار وأرادوا العودة إلى بيوتهم. ولا أستطيع لومهم، لأنّ وقت العشاء كان قد حلّ.

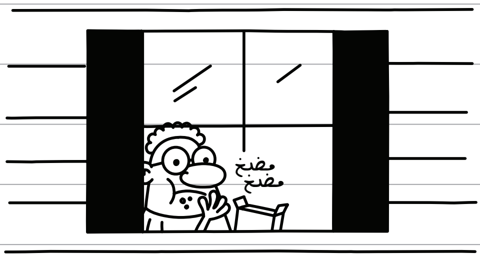
قال جاكوب هوف إنّ لديه درساً في العزف على المزمار عند الساعة السادسة، وإن فوّته سيُغضب والديه. ونحن بالطبع نتفهّم هذه الأمور.

يقع منزل جاكوب على مسافة بضعة منازل نحو الأسفل. وعدناه بأنه إذا قرّر الذهاب سنوفّر له الغطاء. ووعدَنا بأنه حين ينتهي الدرس سيعود إلى الجدار بعد أن يملأ جيوبه بأصابع الغرانولا والسكاكر.



شعرنا جميعنا بالحماسة، وساعدنا جاكوب ليعبر بأمان. وبالفعل، ما إن قام بأوّل خطوة من الجانب الآخر، حتّى فتح أولاد شارع سوراي السفلي النار عليه. لكنّنا رددنا عليهم، وأوصلنا جاكوب إلى باب بيته بسلام.

لكنّ جهودنا ضاعت هباءً. ذلك أنّ درس المزمار كان مجرّد عذر للعودة إلى البيت. وعندما رأينا جاكوب من نافذة غرفة نومه، عرفنا أنّه لن يعود أبداً.



أصبح المزاج خلف الجدار كئيباً فعلاً. فقد بدأ بعض الأولاد يبكون، ولم أعرف كيف سنتمكّن من الصمود لمدّة أطول.

ولا شكّ أنّ أولاد شارع سوراي السفلي شعروا بالوضع الحرج الذي نحن فيه، لأنّهم بدأوا يرسلون طائرات ورقية إلى حصننا كتبوا عليها رسائل.

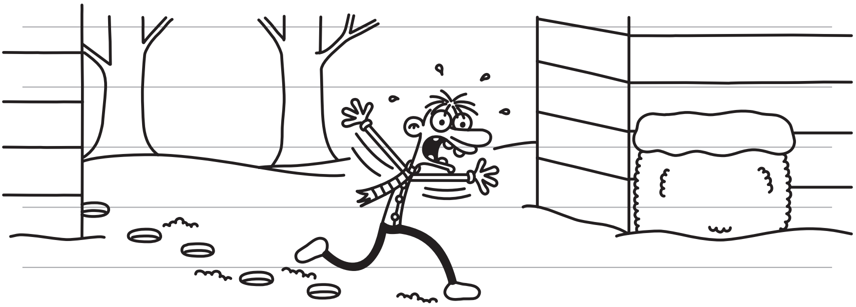


كان ذلك مخيفاً بالنسبة إلى بعض الأولاد. فحتى غيبسون الصغير انفجر باكياً، وبتنا نعرف الآن أنّه يجيد القراءة.



بعد بضع دقائق، أتانا ولد يجري من بين البيوت الواقعة إلى يمين الحصن، واستعددنا لإيقافه بسلسلة من كرات الثلج.

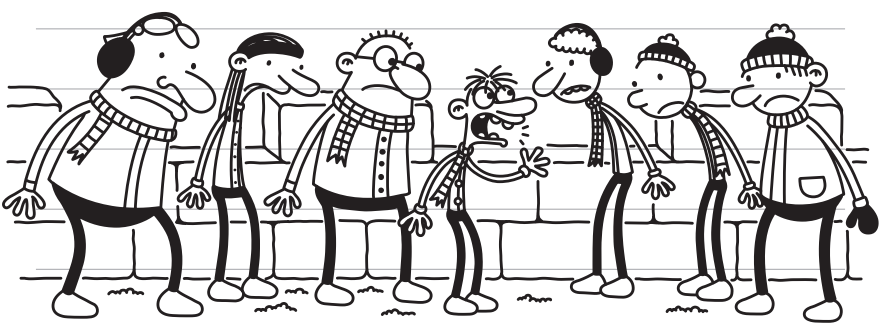
لكنّ أحدنا تعرّف إليه، فامتنعنا عن إطلاق النار. إنّه تريفور نيكس، الذي يعيش على التلّة.



وصل تريفور مقطوع الأنفاس، وبالكاد استطاع الكلام. فساعدناه للاختباء خلف الجدار وانتظرناه ليهدأ.

بعدما استجمع أنفاسه، أخبرَنا بما يجري. قال إنّ أولاد شارع سوراي السفلي أخذوه رهينة، لكنّه تمكّن من الهرب.

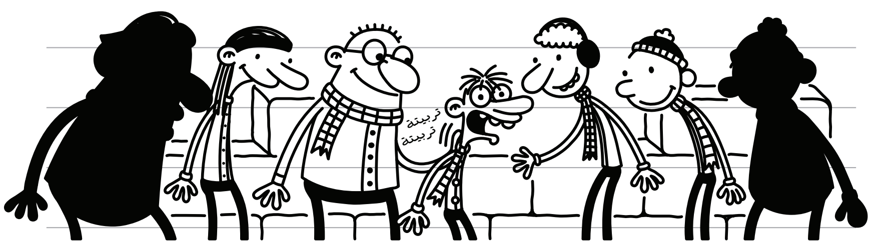
أضاف تريفور إنّ الأولاد يخطّطون لأمر سيّئ حقّاً، وأراد إخبارنا قبل فوات الأوان.



شرح لنا أنّ أولاد شارع سوراي السفلي يصنعون كومة هائلة من كرات الثلج، وعندما يخيّم الظلام سيشنّون هجوماً واسع النطاق. لكن هذا الهجوم ليس الأسوأ.

كان أولئك الجبناء يصنعون كرات الثلج في باحة آل غوزمان، التي تحتوي على الكلاب. هذا يعني أنّهم يستخدمون ثلجاً أصفر، ومن يدري ماذا أيضاً.

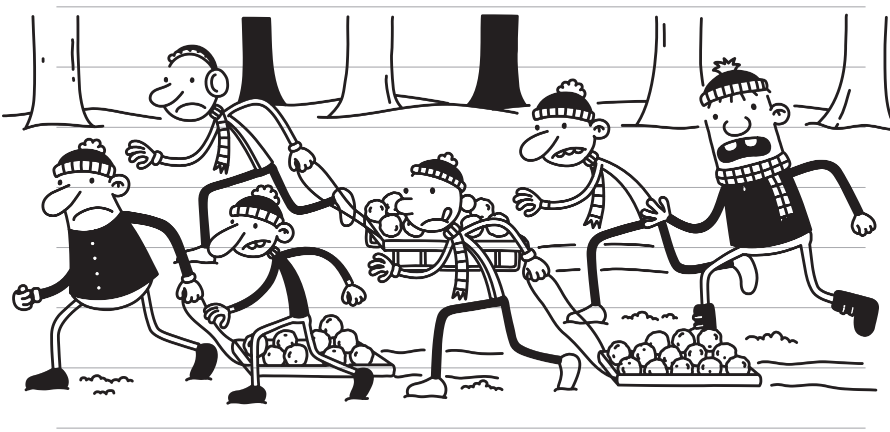
شعر الجميع بالغضب بسبب ما يخطّط له أولئك الفتيان، لكنّنا سررنا لأنّ تريفور أنذرنا بخطورة الوضع. فقلنا له إنّه يستطيع من الآن فصاعداً التزلّج على تلّتنا في أيّ وقت.



اتّفقنا على عدم الجلوس وانتظار الهجوم، لذلك بدأنا بوضع خطّة. سيقوم نصفنا بالتسلّل إلى أسفل التلّة وشنّ هجوم مفاجئ على الأولاد الذين يصنعون كرات الثلج في باحة آل غوزمان. أمّا النصف الآخر، فسيبقى لحماية الحصن. ورسمنا الخطّة على الثلوج بعصا ليطّلع الجميع عليها.



أردنـــا أنـــا وراولــي أن نـكـون في قلب الـحـدث، لذلك اخترنا الانضمام إلى فريق الهجوم. فقامت مجموعتنا بتحميل بضع زلّاجات بكلّ كرات الثلج المتبقّية، وتسلّلنا من خلف الجدار بين المنازل.

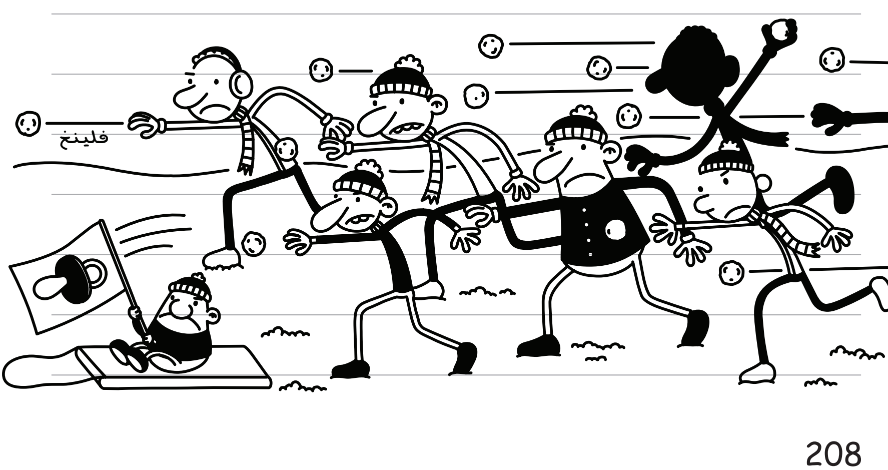


كان الظلام يخيّم الآن، فعرفنا أنّ أولئك الأولاد لن يتمكّنوا من رؤيتنا قادمين.

عندما وصلنا إلى باحة غوزمان، توقّفنا لتقييم المشهد. بالفعل، كانت مجموعة من الأولاد الذين يصنعون كرات الثلج خلف جدار صخري.



وعندما أعطى غيبسون الصغير الإشارة، بدأنا الهجوم.



أمّا أعضاء الفريق الآخر فلم يتزحزحوا من مكانهم عندما أطلقنا عليهم الكرات. عندئذٍ أدركنا أنّنا وقعنا ضحيّة خدعة.

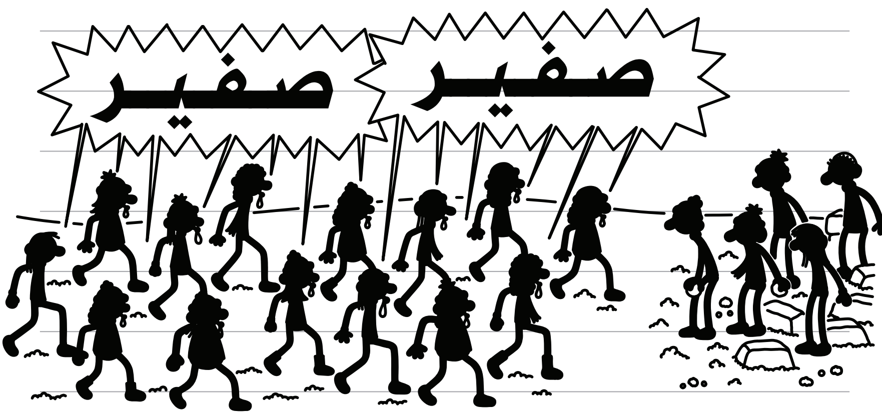


فقد نصب لنا أولاد شارع سوراي السفلي فخّاً لكي ننقسم، ما يعني أنّ تريفور نيكس كان خائناً. اندفعنا عائدين إلى الجدار، لكنّ الأوان كان قد فات.



كان الجدار محطّماً، وقد نفدت منّا الذخيرة. شعرنا أنّنا في وضع حرج جدّاً نحن أولاد التلّة، لكنّ شيئاً حدث في تلك اللحظة منحَنا بصيصاً من الأمل.

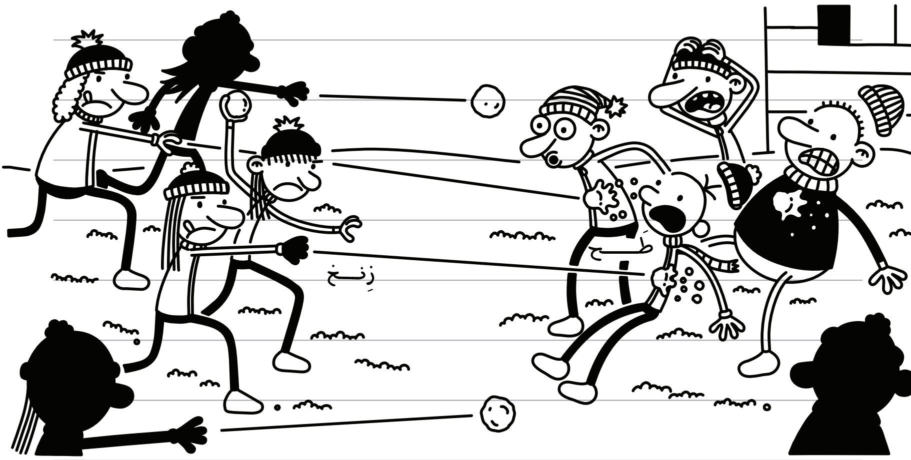
وجدنا مجموعة من الأولاد تزحف إلى أعلى التلّة باتّجاهنا، وعندما اقتربت، أدركت أنّها دوريّات الأمن. فظننتُ للحظة وجيزة أنّها أتت لنجدتنا.



غير أنّ أولئك الفتيات لم يأتين لنجدة أحد، بل للانتقام.

في العادة، لا يُسمح لدوريّات الأمن برمي كرات الثلج، لكنّ اليوم أحد. وهذا يعني أنّهنّ يملكن الحرية لفعل ما طاب لهنّ.

كان نصف الفتيات في دوريّـات الأمن ينتمين إلى فريق الكرة الليّنة، ومن يقول إنّ الفتيات لا يجدن رمي الكرة بقوّة، فهو لا يدري شيئاً.



تحوّلت المعركة إلى قتال بين أولاد شارع سوراي ودوريّـات الأمـن، وكنّا بضعف عددهنّ. لكن فجأة، انتقلت فتيات شارعنا إلى الطرف الآخـر، وأصبح الوضع مربكاً حقّاً.

في خضمّ كلّ ذلك، وصل جيش آخر من أعلى التلّة. وكانوا أولاد شارع ويرلي، الذين طُردوا على الأرجح من ملعب الغولف وأتوا للتزلّج في شارعنا. وما إن دخلوا المعركة، حتّى تحوّل الوضع إلى شجارٍ عام.


مفتوح



حين لم يعد من الممكن أن تصبح الأمور أكثر جنوناً، اخترق صوت مروّع الأجواء، فتوقّف الجميع في أماكنهم ليعرفوا مصدره. كنّا أنا وراولي الوحيدين في الشارع اللذين عرفا الصوت بالتأكيد.

آرووووووووووو



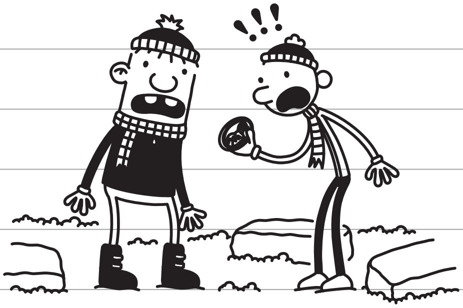
فجأة، بدأ أولاد مينغو يتوافدون من الغابة، وبدوا كما لو أنّهم استيقظوا للتوّ من سبات دام ثلاثة أشهر.



وآخر أولاد مينغو الوافدين كان ميكلي. وكان يحمل شيئاً على طرف عصا، لم أعرف ماهيّته في البداية. وعندما اقترب، أدركت أنه السيّد أكول.



لم يكن ميكلي يضع حزامه، الأمر الذي وجدته غريباً. لكنّ ذلك المشهد ذكّرني بشيء، فمددت يدي إلى جيب معطفي، وأخرجت شيئاً معدنياً بارداً.



حين كنّا أنا وراولي في مخيّم أولاد مينغو، يبدو أنّني وضعت إبزيم الحزام في جيبي من دون أن أدرك ذلك. والآن أصابني الذعر، لأنّ هذا يعني أنّ ميكلي مينغو أتى بحثاً عنّي.

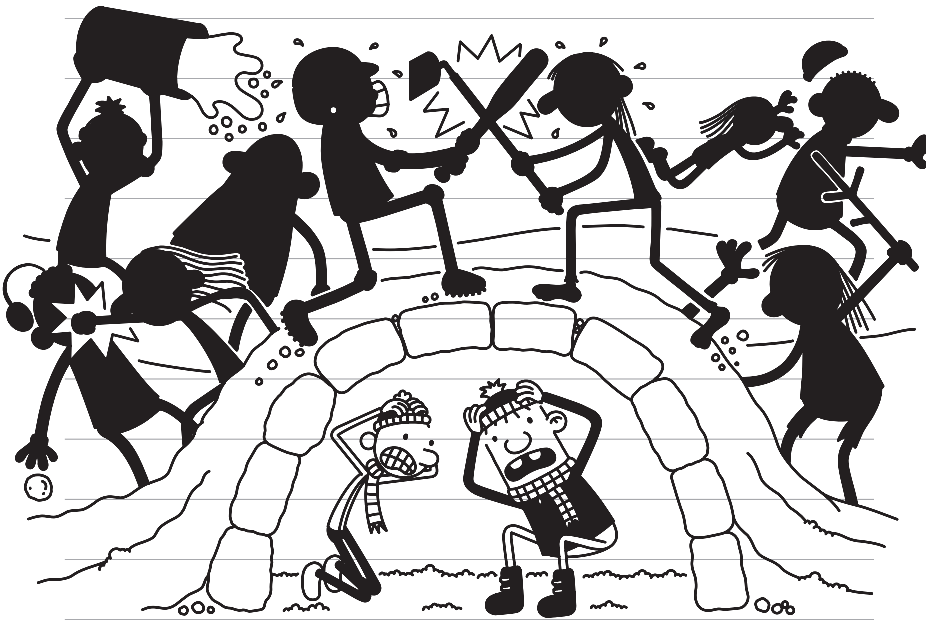
غير أنّ الشيء الوحيد الذي يكرهه أولاد بلدتي أكثر من كره بعضهم لبعض هو أولاد مينغو. لذا استدار الجميع لمواجهتهم عندما هجموا علينا.



في الحقيقة، الجميع باستثنائي أنا. ففي تلك المرحلة كنت منهكاً تماماً.

عندما ظهر أولاد مينغو، بحثتُ عن مخبأ جيّد ألجأ إليه.

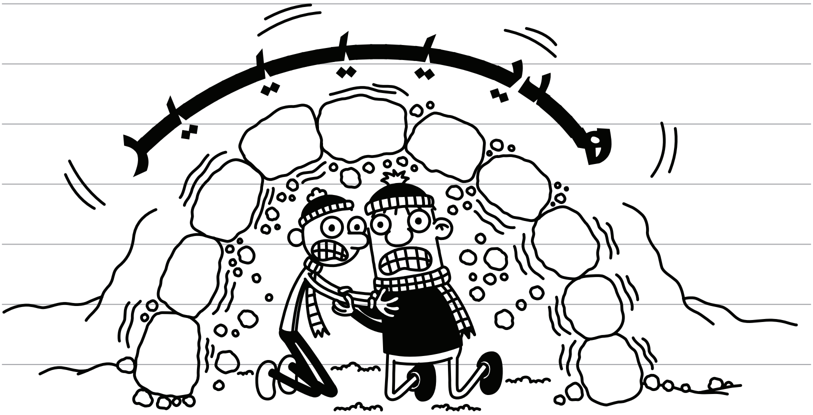
وجدت حفرة كبيرة في جزء منهار من الجدار، فاختبأت داخلها. لحق بي راولي على الفور، بينما احتدمت المعركة حولنا، ولم أعد أعرف كيف سنخرج من هناك على قيد الحياة.



لم يعتقد راولي أنّنا سننجو هو الآخر. فقال لي إذا رحلتُ أنا وبقيتَ أنتَ على قيد الحياة يمكنك أن تحصل على ألعاب الفيديو التي أملكها.

فتّشتُ في بنطالي بحثاً عن قلم لكي يتمكّن من التعبير عن ذلك خطّياً، لكنّني لم أجد سوى ذاك الإبزيم السخيف.

لم يعد لذلك أيّ أهمّية في أيّ حال، لأنّه بعد خمس ثوانٍ بدأت الأرض تهتزّ تحتنا، وظننتُ أنّه زلزال.

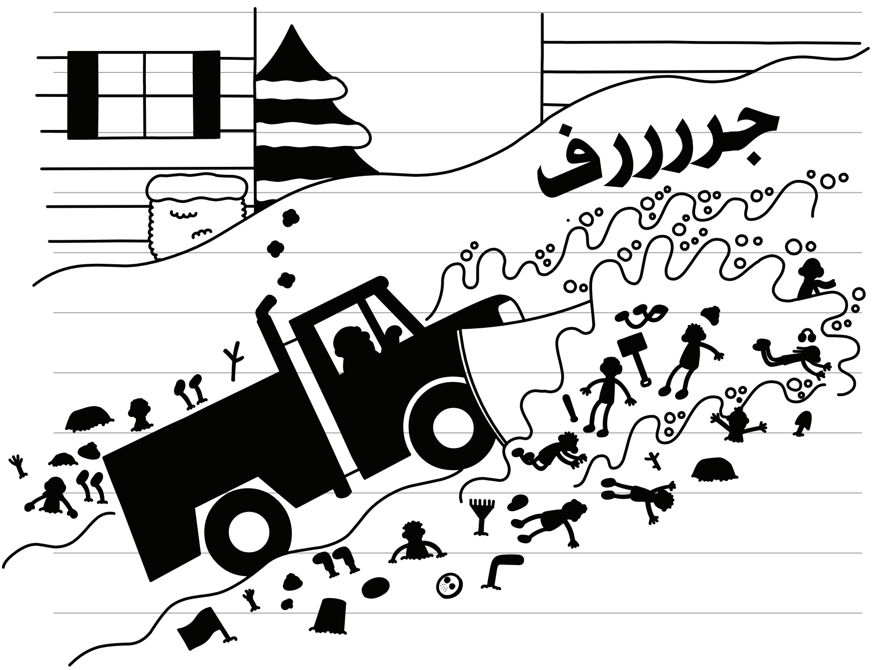


اعتقدت أنّنا سنُدفن أحياء، وأوّل ما خطر ببالي أنّه سينتهي بنا الأمر نحن الإثنين في متحف، بعد أن يخرجونا من تحت الثلوج بعد ألفي عام.



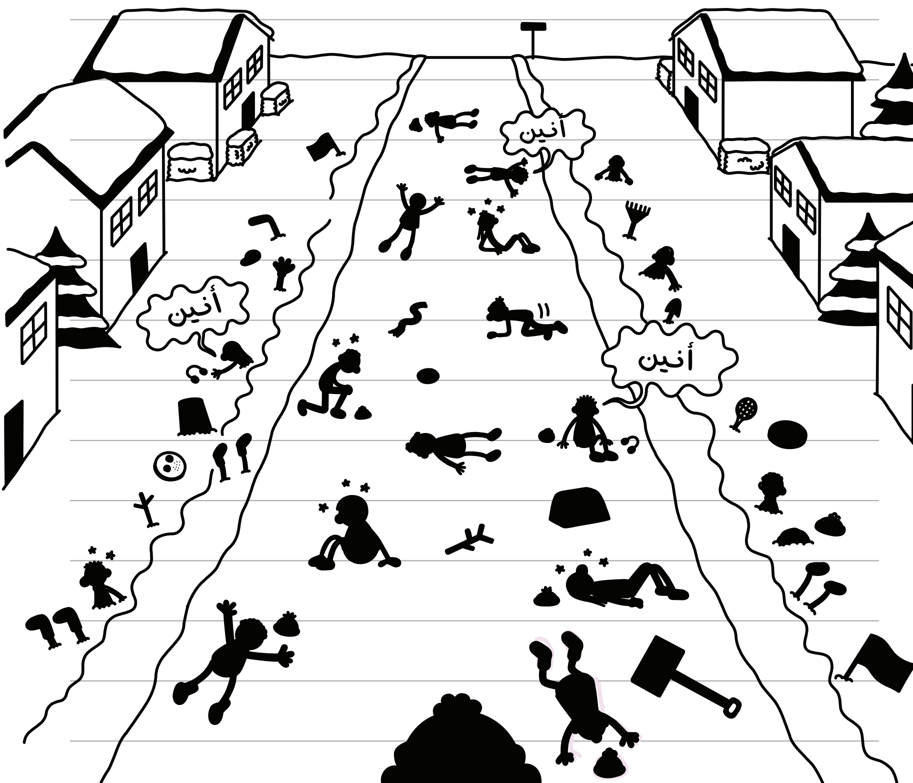
إلّا أنّ الاهتزاز توقّف فجأة، وبعد بضع ثوانٍ أطللنا برأسينا من مخبئنا لرؤية ما يجري .

كانت الجرّافة قد قطعت ثلاثة أرباع الشارع، وراحت تجرف كلّ ما في طريقها . ولا أدري ما إذا كان السائق لم يرَ الأولاد في الطريق أم أنّه بكلّ بساطة لم يأبه لذلك .



كان الثلج قد بدأ بالذوبان، وتلوّث كلّ شيء بالوحول . وما إن غادرت الجرّافة الشارع، حتّى عمّ الهدوء التامّ .

كانت الأصوات المسموعة الوحيدة صادرة عن الأولاد الذين لم يحالفهم الحظّ. الغريب الآن أنّه بعدما تمّ جرف الشارع، لم يعد هناك شيء نتقاتل من أجله، فبدأ الجميع يعودون إلى منازلهم.



وفي الحقيقة، لم أعد أذكر تماماً ما الذي كنّا نتقاتل عليه في الأساس.

الجمعة

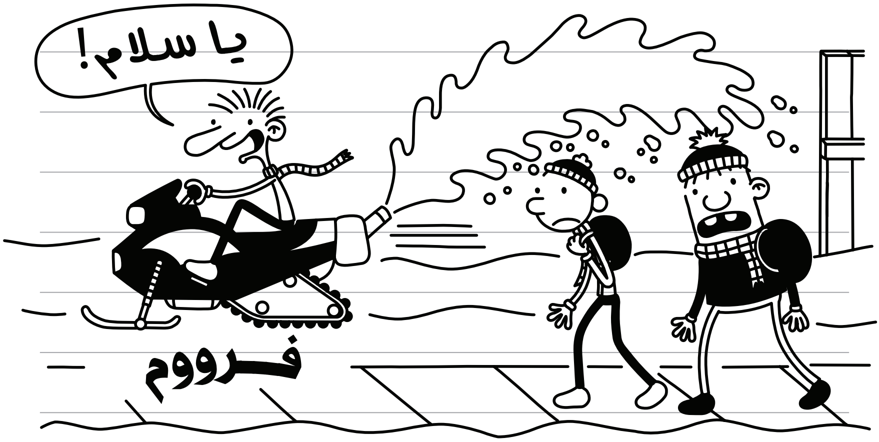
كنّا قد عدنا إلى المدرسة منذ أسبوع، وأصبح الطقس أكثر دفئاً بكثير من الأيّام الماضية. ومع أنّني لا أريد أن أستبق الأمور، لكن يبدو أنّ آخر أيّام الطقس البارد قد ولّت.

لم أعد أشعر بالقلق بشأن الخروف. ففي الليلة الماضية، عُرض برنامج على التلفاز عن عطلة الربيع، وأنا واثق أنّني لمحته بين الحشود.

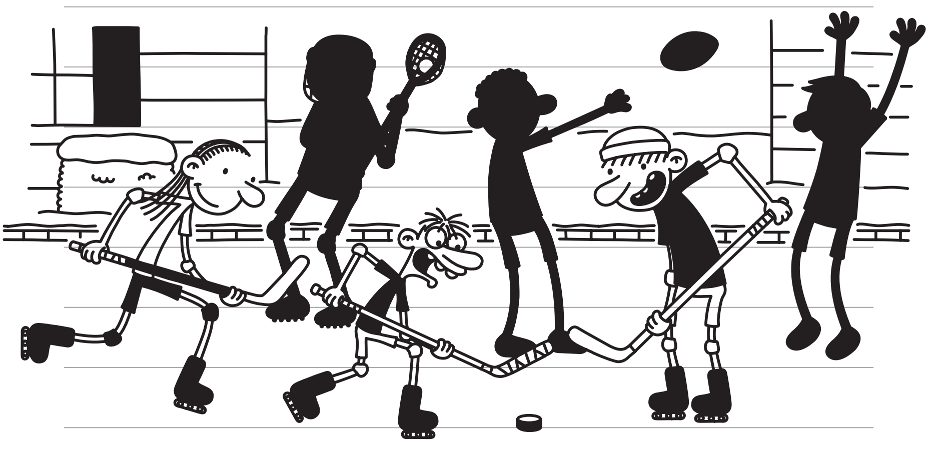


ما زالت الثلوج تكسو أجزاءً من الأرض في حيّنا، وكان ميتشيل بيكيت يستمتع بركوب الدرّاجة الثلجية التي اشتراها بما كسبه هذا الشتاء.

وبالتالي، من يقول إنّ الحرب لا تفيد أحداً، عليه أن يعيد التفكير في الأمر.



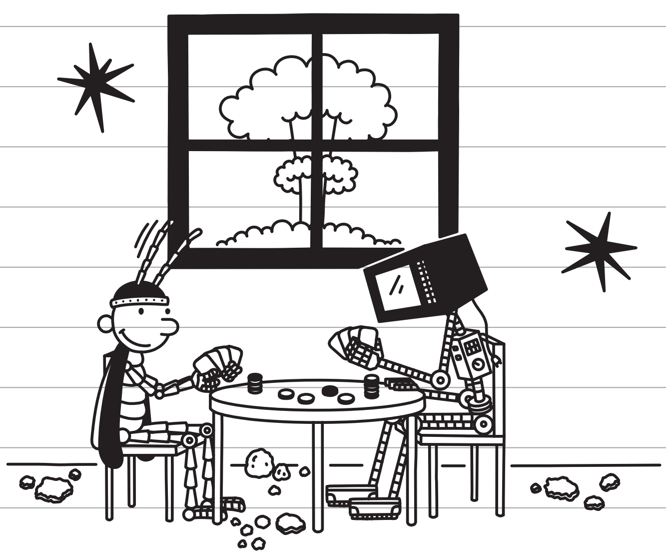
غير أنّ ميتشيل لم يكن الوحيد الذي حقّق المكاسب. إذ كان تريفور نيكس يلعب الهوكي عند أسفل التلّة مع أولاد شارع سوراي السفلي كلّ يوم بعد المدرسة. لذا أظنّ أنّ هذا ما يناله المرء من الخيانة.



لكنّني لن أتذمّر. فأنا مسرور لأنّني اجتزت الشتاء وأنا على قيد الحياة.

فما تعلّمته عن نفسي أنّني لست بطلاً. ثقوا بي، أنا مسرور لوجود أشخاص كهؤلاء، لكنّ العالم يحتاج إلى فتيان مثلي أيضاً.

فإن استمرّ وجود الكائنات البشرية على الأرض بعد خمسمائة مليون عام من الآن، سيكون ذلك بفضل أشخاص، مثل غريغ هيفلي، استطاعوا إيجاد طريقة للبقاء.



شكر

شكراً لكل محبي سلسلة «مذكرات طالب» لأنهم ألهموني وحفّزوني على كتابة هذه الحكايات. شكراً لكل أصحاب المكتبات لأنهم وضعوا كتبي في متناول الأولاد.

شكراً لأفراد عائلتي على كل الحب والدعم. أمتعتني فعلاً مشاركتكم هذه التجربة.

شكراً لكل الزملاء في «منشورات أبرامز» لأنهم عملوا بكدّ لإصدار هذا الكتاب. شكراً خاصاً لرئيس التحرير تشارلي كوشمان، والناشر جايسون ويلز، ومدير التحرير سكوت أويرباش.

شكراً لكل شخص في هوليوود عمل بكدّ لإنجاح شخصية غريغ هيفلي؛ ولاسيما نينا، وبراد، وكارلا، وريلي، وإليزابيت، وثور. وشكراً لكما سيلفي وكيث على مساعدتكما وإرشادكما.

الكاتب

جيف كيني هو أحد المؤلفين الأكثر مبيعاً على لائحة نيويورك تايمز، وقد فاز ست مرات بجائزة الكتاب المفضل للأولاد من نيكلوديون. كما تمت تسمية جيف واحداً من أكثر الشخصيات المئة المؤثرين في العالم على لائحة مجلة تايمز. وهو منشئ موقع بوبتروبيكا Poptropica الذي اختارته مجلة تايم واحداً من أفضل خمسين موقع إنترنت. قضى طفولته في واشنطن، العاصمة، ثم انتقل إلى نيوإنغلند في العام 1995. وهو يعيش حاليًّا مع زوجته وولديه في ماساتشوستس حيث يملكون مكتبة تدعى An Unlikely Story.



صدر من هذه السلسلة



ISBN: 978-614-01-2647-3

9 786140 126473

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com